إنجلترا وحروب محمد علي
في النصف الأول من القرن التاسع عشر
(١٨١١- ١٨٣٩م)

أ . عبدالرحمن صالح عثمان

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر المساعد - كلية الآداب

جامعة حلوان

إنجلترا وحروب محمد علي
في النصف الأول من القرن التاسع عشر
(١٨١١- ١٨٣٩م)

أ . عبد الرحمن صالح عثمان(*)

الملخص :

لقد لفت موقع مصر الأنظار إليها منذ فجر التاريخ ، وتوالت عليها الغزوات حقبة بعد حقبة وصولاً إلى العصر الحديث والاحتلال العثماني لها ، وكان الغرب من أشد المراقبين لمصر ونظمها الحاكمة نظرًا لأهميتها الكبيرة في كافة المجالات ، والحديث هنا عن مصر بعد وصول محمد علي إلى السلطة ، ونظرة إنجلترا إلى حروبه وخصوصاً بعد أن أصبحت الأخيرة من أقوى الدول الأوروبية في مجال التوسعات البحرية ، فضلًا عن قيام الثورتين الصناعيتين الأولى والثانية .

ولذلك يلاحظ تركيز إنجلترا الكبير على مصر ، واستخدامها كمحطة عبور من أجل الوصول إلى الشرق ، والمحافظة على طريق تجارتها ، وسيظهر ذلك جليًا في موقفها من توسعات محمد علي . وقد أعد الباحث تلك الدراسة من أجل الإجابة عن بعض التساؤلات ، ومنها : ما موقف إنجلترا من مصر قبل وصول محمد علي للسلطة؟ ، وما سياستها تجاه حروبه في الحجاز والسودان واليونان والشام؟ ، وكيف استطاعت أن توقف المد الاستراتيجي للباشا؟ ، وكيف جذبت أنظار القوى الأوروبية للتحالف معها ضد الباشا؟ ولماذا كان موقف إنجلترا تجاه محمد علي متغيراً من فترة لأخرى؟ ، وما دور قناصلها في مصر في تحقيق تلك المخططات؟ .

(*) مدرس التاريخ الحديث والمعاصر المساعد- كلية الآداب- جامعة حلوان .

Abstract:

Egypt's location and position have drawn attention to it since the dawn of history, and attacks continued on it from era to era until the modern era and the Ottoman occupation. The West was one of the most keen observers of Egypt and its ruling systems due to its great importance in all fields. We are talking here about Egypt after Muhammad Ali came to power and England's view of his wars, especially after the latter became one of the most powerful European countries in the field of maritime expansion, in addition to the first and second industrial revolutions.

Therefore, it is noted that England focused greatly on Egypt and used it as a transit station in order to reach the East and maintain its trade route, and this will be clearly shown in its position towards Muhammad Ali's expansions. The researcher prepared this study in order to answer some questions, including: What was England's position towards Egypt before Muhammad Ali came to power? What was its policy towards his wars in the Hijaz, Sudan, Greece and the Levant? How was it able to stop the Pasha's strategic expansion? How did it attract the attention of the European powers to ally with it against the Pasha? Why did England's position towards Muhammad Ali change from time to time? What was the role of its consuls in Egypt in achieving these plans?.

موقف إنجلترا من مصر حتى تولية محمد علي :

مما لا شك فيه أن الشرق الأدنى كان محط أنظار الغرب منذ زمن بعيد ، وبدأت محاولاته لبسط نفوذه عليه بشتى الطرق والوسائل ، ومع أن بريطانيا لم تكن أولى الدول الأوروبية التي طرقت أبواب الشرق في العصر الحديث ، خصوصًا أنها قد تأخر خروجها في حركة الكشوف الجغرافية إلى الشرق ، إلا أنها- ولأسباب عدة- كانت من أوائل الدول الأوروبية التي حققت وحدتها السياسية ، ومنذ أواخر القرن السادس عشر أخذت في بسط نفوذها البحري . وفي هذا السياق بدأت منذ القرن السابع عشر في السيطرة على بعض المناطق في الهند ، وأقامت فيها مراكز تجارية ، ومنذ القرن الثامن عشر بدأ تفوق إنجلترا على القوى المنافسة لها في الشرق الأقصى ، وأخذت مكان إسبانيا والبرتغال وهولندة وفرنسا[١] .

أما بالنسبة للصراع الإنجليزى الفرنسى على مصر ، فقد اشتعل منذ أن عقدت فرنسا مع الأخيرة عدة اتفاقيات ومعاهدات تجارية مع الولاة الخارجين عن التبعية العثمانية . وقد تمكن التاجر الفرنسي "شارل مجالون" (Charle Magalon) في عام ١٧٨٥م من إبرام ثلاث معاهدات تجارية مع مصر ؛ الأولى والأهم مع مراد بك ، الذي تعهد فيها بحماية التجارة الفرنسية مقابل ضريبة ، والثانية مع يوسف كساب ملتزم الجمارك العام في مصر ، والثالثة مع "الحاج ناصر شديد" أحد مشايخ العرب ، والذى اتفق مع الفرنسيين على نقل تجارتهم عبر الصحراء مقابل مبلغ من المال[٢] .

هذا إلى جانب التقارير الفرنسية عن مصر ، والتي سبقت مجيء الحملة ، وتناولت أيضًا ضعف الدولة العثمانية ، وضرورة التحرك صوب الشرق للسيطرة على تجارة شركة الليفانت[٣] . أما رحلة "فولنى" (Volney) إلى مصر عام ١٧٨٧م فتعدُّ من أهم المقدمات للاحتلال الفرنسي[٤] ، بينما نوه تقرير المندوب الفرنسي في استانبول "مجالون جوان" (Majalon Joan) عام ١٧٩٥م إلى أهمية الموانىء المصرية في مرور

التجارة بين الشرق والغرب . وأخيراً هناك تقرير وزير الخارجية الفرنسي "شارل موريس دى تاليران" Charles Maurice de Talleyrand عام ١٧٩٧م حول كيفية احتلال مصر(٥) .

وبعد احتلال فرنسا لمصر ، فقد بدأت محاولاتها لإحياء طريق التجارة عبر البحر الأحمر بين الشرق والغرب ، علمًا بأن بونابرت لم يكن أول من فكر في احتلال مصر ، بل سبقه إليه "ليبنيتز" (Leibnitz) بمشروعه الذي قدمه إلى "لويس الرابع عشر" ، إلا أنه هو من عمل على تنفيذ مشروع حفر قناة في برزخ السويس(٦) . وخلال الفترة القصيرة للاحتلال الفرنسي لمصر ، تم إجراء أكثر من عملية مسح جغرافى لبرزخ السويس(٧) ، ومما قاله بونابرت أيضًا :" لا سبيل للقضاء على بريطانيا إلا باحتلال مصر"(٨) .

ولما علمت إنجلترا بتحرك الأسطول الفرنسي أوكلت إلى الأميرال "نلسون" Nel-son مراقبة هذا الأسطول في البحر المتوسط ، والذي كان بقيادة "بونابرت" الذي حاول الهروب من الأسطول البريطاني(٩) ، حتى كانت "معركة أبو قير البحرية" عام ١٧٩٨م(١٠) التى انتصر فيها الأسطول الإنجليزى بقيادة "توماس ستامفورد رافلز" (Thomas Stamford Raffles)(١١) . كما تواصل الإنجليز مع الباب العالي ، وتحالفوا معه حتى استطاعوا معًا إنهاء الاحتلال الفرنسي لمصر(١٢) .

ولذلك فإن أول وجود للقوات العسكرية البريطانية على الأراضي المصرية كان لإخراج الحملة الفرنسية ، حيث تشكلت قوة بحرية بريطانية تحت قيادة "سيدني سميث" (Sidney Smith) بالاشتراك مع البحرية العثمانية ضد القوات الفرنسية ، ودارت بينهم معارك عديدة ، حتى استطاع الإنجليز بالتحالف مع العثمانيين إرغام الفرنسيين على الخروج من مصر عام ١٨٠١م(١٣) . وقد كان أبرز القادة الإنجليز في هذه المعارك يُدعى السير "رالف أبركرومبي" (Abercrombie "Ralph) الذي قاد القوات البحرية الإنجليزية حتى وصل إلى خليج أبو قير في نفس العام(١٤) .

وقبل أن تخرج بريطانيا وقادتها من مصر تركت فرقة عسكرية لها في الإسكندرية تحت قيادة الجنرال "مور" (Mour) حتى يطمئنوا على عدم عودة الفرنسيين مرة أخرى ، وكتب أحد قادتها وهو الكولونيل "روبرت ويلسون" (Robert Wilson) الذي كان يدون كل الأحداث الواقعة في مصر أثناء الصراع الإنجليزى الفرنسي ، "كيف لم يحاول مغامر لديه قدر من الجرأة والموهبة والطموح أن يقود مجموعة للتصدي للمماليك"[١٥] .

وكان هذا في ضوء الحديث عن مصر بعد خروج الفرنسيين ، واشتعال الصراع الداخلي الذي سبق مجيء محمد علي للسلطة عام ١٨٠٥م ، ومن بعدها قام الإنجليز بوضع العراقيل أمامه ، حيث أوعزوا باستمرار إلى الباب العالي من خلال سفرائهم في الآستانة بنقله من ولاية مصر ، وأيضًا تشجيعهم للمماليك الناقمين على سلطته ، وبالفعل تم إرسال أسطول بحري عثماني إلى ميناء الإسكندرية لتولية "موسى باشا" بدلاً منه ، ونقله إلى ولاية سالونيك ، ولكنه استند إلى الزعامة الشعبية للتصدي لهذا المخطط الإنجليزي التركي[١٦] .

إلى جانب تقارير القنصل البريطاني العام في مصر اللورد "إرنست ميست" (Ernest Miasset) ، وتأكيده على أن المصريين أصبحوا في متناول الفرنسيين ، وأن مصر باتت مغرمة بالثقافة الفرنسية في عهد الوالي الجديد ، ولذلك يجب إرسال حملة إليها ، والقضاء على نفوذ فرنسا فيها[١٧] ، ومن ثم وصلت الحملة الإنجليزية بقيادة الجنرال "فريزر" (Freezer) إلى ميناء الإسكندرية في مارس ١٨٠٧م[١٨] ، وتواصل الإنجليز مع جماعة الألفي لتسهيل أمورهم في الدخول ، ومع محافظ الإسكندرية (أمين أغا) من جانب آخر ، وقام بمهمة التفاهم بين هذه الأطراف القنصل البريطاني في الإسكندرية "ميست" الذي عُين وكيلاً للإنجليز في الإسكندرية بعد صلح أميان[١٩] ، وكان هدف الإنجليز من وراء حملتهم وضع عميل

لهم على رأس السلطة المصرية ، وإزاحة الباشا ، فضلاً عن تأديب تركيا التي كانت متقاربة تلك الفترة مع فرنسا ، ولكن في النهاية فشلت الحملة في مساعيها لعدة أسباب : منها وفاة حليفهم الألفي ، وبسالة أهالي الإسكندرية في الدفاع عن مدينتهم[٢٠] . ولم يكن الألفي وحده حليف الإنجليز ضد الباشا ، فقد وقف أهل بيته وجماعته بجانب الإنجليز خلال معاركهم في الإسكندرية ، وحرقوا مراكب الباشا ، ولكن في النهاية انتهت المعركة لصالح الأخير[٢١] .

إنجلترا وحروب محمد علي في الحجاز (١٨١١- ١٨١٨م) :

بعد أن استتب الأمر للباشا أخذ يتطلع إلى الخارج وذلك لأمرين ؛ إما لتلبية طلب الباب العالي ، أو لحاجة الباشا إلى توسيع نفوذه ، وتأمين حدوده ، ومن ثم سيتم تسليط الضوء على موقف بريطانيا تجاه تحركات الباشا والقوات المصرية التي تسعى إلى التوسع والهيمنة ، وإعداد العديد من التقارير عن طريق قناصلها والرحالة ، ولم يكن ذلك مقتصراً على مصر فقط ، بل في المناطق التى يسعى الباشا لضمها أيضًا ، حيث إن القنصل العام كان يراقب كل تحركات القوات المصرية في منطقة البحر الأحمر ، ويطلع سفارته في بريطانيا على التحولات الجديدة في السياسة المصرية بعد الحملة الأولى على بلاد الحجاز في الفترة من عام (١٨١١- ١٨١٤م) .

وعلى الرغم من معارضة إنجلترا وسياسييها لتوسع الباشا ، وزيادة سيطرته في تلك المنطقة ، إلا أنهم كانوا في بعض الأونة يؤيدون ذلك وفق مصالحهم ، ويظهر هذا في بعض التقارير التي أُعدت إبان خروج حملة الباشا إلى الحجاز ، ومنها ذلك التقرير الذي جاء على لسان اللورد "هنرى سولت" (Henry Salt)- الذي سيصبح قنصل بريطانيا العام بعد ذلك- ، حيث كان مؤيداً لهذا التوسع ، ولسيطرة الباشا من أجل القضاء على عمليات القراصنة التي كانت تتم في موانىء البحر الأحمر ، وقال في هذا الصدد :" إن من المستحسن أن يكون لسموه التفوق ، حيث يحول دون تسلط

هؤلاء القراصنة الوهابيين على البحار . أما فيما يختص بمصر ، فإن سمو الباشا قد أصبح تاجراً بكل معاني الكلمة بحيث إنه أصبح في قبضة أيدينا ، وتحت رحمتنا ، وقد أصبح إيراد الدولة متوقفًا على التجارة . . . بحيث لا يستطيع بدونها معونة حكومته عدة أشهر ، ثم إن أميرال البحر المتوسط في حالة قطعه للعلاقات بوسعه أن يحمل محمد علي- على ما أعتقد- على الخضوع لشروطنا في كل وقت ، وبدون طلب قوة إضافية . . . ، إذ إن سفينتين من سفن البضائع تقفان بين جدة والسويس كافيتان لقطع مواصلات محمد علي عن طريق البحر ، وحمله على قبول شروطنا"[٢٢] ، ولا سيما أن إنجلترا كانت تسعى منذ أواخر القرن الثامن عشر للسيطرة على منافذ الخليج العربي ، حيث عقدت شركة الهند الشرقية البريطانية معاهدات مع سلاطين الخليج العربي ومنهم : السلطان (علي) سلطان مسقط الذي عقدت معه معاهدتين في عام ١٧٩٨م ، وفي عام ١٨٠٠م وقعهما عن الجانب الإنجليزي "جون مالكولم" (John Malcolm) ، فضلاً عن أنها أنزلت جنوداً لها من الهنود في القصير عام ١٨٠١م لتسيطر على الممر التجاري المؤدي إلى اليمن ، وفي عام ١٨٠٥م حاول المسئولون الإنجليز إعادة افتتاح الوكالة البريطانية في المخا ، وتزويد المنطقة بحرس من الأسطول الإنجليزي[٢٣] ، كما تدخلت بالقوة بناءً على طلب سلاطين عمان في صراعهم ضد الوهابيين عام ١٨١١م[٢٤] .

ويتبين من ذلك أن حملة الباشا على منطقة البحر الأحمر وبلاد الحجاز كانت بمثابة منحة للإنجليز للتخلص من الحركة الوهابية ما بين عامي ١٨١١ ، ١٨١٨م ، وقد استطاع ابنه (طوسون)[٢٥] ومن بعده إبراهيم القضاء على قوة السعوديين[٢٦] ، ومن ثم أفسحا المجال للإنجليز في هذه المناطق ، وأصبح القواسم بدون حليف لهم[٢٧] .

وقد أعرب القنصل الإنجليزي عن سعادته وفرحه بعد التخلص من الجماعة الوهابية ، والتي اعتبرها على حد قوله"عصبة من اللصوص ، أشد تعصبًا ، وأقل

تسامحًا ، وأكثر عداءً لتقدم المدنية" ، وهذا يبرهن على سبب سماح بريطانيا للباشا بالتوسع في الحجاز!!! ، حيث إن السفن الإنجليزية كانت دائمًا ما تتعرض للقرصنة في مدخلي البحر الأحمر والخليج العربي ، وكانت تتم مصادرة وقتل كل ما عليها ومن عليها من الملاحين كما حدث في عام ١٨٠٨م[٢٨] .

كما أسرعت حكومة بومباي في عام ١٨١٩م بإرسال الكابتن "سادلير" (Sadlier) لتهنئة إبراهيم باشا على هذا الانتصار ، واقتراح عقد معاهدة هجومية بين الطرفين تتعاون فيها القوات البرية والبحرية الإنجليزية مع القوات المصرية ، إلا أن الباشا خشي من أن التعاون مع بريطانيا في تلك الآونة سيفتح الباب أمام دخول قوى أخرى في منطقة الحجاز[٢٩] .

ولكن توجُّه محمد علي ناحية بلاد اليمن بعد سيطرته على بلاد الحجاز أدى إلى إزعاج حكومة التاج ، وبالتالي أخَّر فكرة الاستيلاء على اليمن ، إلا أنه أبدى اهتمامه بعض الشيء بالمنطقة بعد قيام العديد من الحركات الثورية فيها ، ولكن كانت أولوية توسعاته متجهة نحو السودان ، وإن كان يريد إبعاد النفوذ البريطاني عن اليمن[٣٠] ، ونظرًا لذلك تقدمت بريطانيا في نوفمبر ١٨٢٠م نحو بلاد اليمن من أجل إقامة وحدة عسكرية للاستيلاء على ميناء (المُخا)[٣١] ، وعقدت في عام ١٨٢١م اتفاقية مع إمام اليمن ومشايخ المنطقة تضمن لهم سلامة طريق تجارتهم[٣٢] ، وتلك التقدمات البريطانية كانت من تخطيط شركة الهند الشرقية البريطانية التي أوفدت بعثة دبلوماسية عام ١٨١٩م إلى زعماء القبائل العربية في هذه المنطقة من أجل اتخاذها محطة سياسية استراتيجية لوضع قدمها في المكان ، وتضييق الخناق على محمد علي[٣٣] ، فضلاً عن إرسالها عدداً كبيراً من الرحالة والباحثين إلى هذه المنطقة- منطقة الخليج العربي- في كافة المجالات : الجغرافية والاجتماعية والتاريخية ، كما أرسلت ضباط مخابرات وقياديين سياسيين وعسكريين[٣٤] .

وفي الأخير فإن سيطرته على بلاد اليمن في عام ١٨٢٥م أدى إلى توتر العلاقات بينه وبين إنجلترا ، حيث تعارض الأخيرة أي نوع من أنواع "السياسة التوسعية" (Expansionism policy) في المنطقة[٣٥] ؛ وذلك لقلقها على طريق تجارتها مع الشرق ، وعرقلة نشاطها التجاري كما كان يحدث بالأمس من قِبل المماليك وغيرهم من فرض الضرائب الباهظة[٣٦] .

وعلى الرغم من ذلك استمرت العلاقات التجارية قائمة بين البلدين ؛ فأمدته بسفنٍ لإنشاء أسطوله البحري ، وفي المقابل كان الباشا يمدهم بالمواد الخام والمحاصيل الزراعية[٣٧] .

إنجلترا وحرب محمد علي في السودان (١٨٢٠- ١٨٢٤م) :

في السودان بعد إرسال قوات الجيش المصري بزعامة (إسماعيل)[٣٨] ، وتوسُّع الباشا في هذه المنطقة تقابل مع القنصل الإنجليزي العام "سولت" عام ١٨٢٠م ، وأخبره الأخير بأن بريطانيا لن تسمح له بالسيطرة على دولة مسيحية كالحبشة[٣٩] ، فتم بذلك تحديد وجهته ، ومن ثم استولى ابنه على بعض المناطق في السودان ، ثم قامت الثورة ضده ، وأودت بحياته عام ١٨٢٢م[٤٠] ، وفي الأخير استطاع إرسال المدد وإحكام سيطرته الكاملة على السودان في عام ١٨٢٤م[٤١] .

وبعد أن دانت السودان لحكم الباشا لم تتوقف الرحلات الإنجليزية إليها عن طريق القناصل والرحالة والمنصرين من أجل متابعة الأحداث في أعالي النيل ، ومن تلك الرحلات : رحلة "جورج وادنغتون" (George Waddington) ورفيقه "هنبرى"(Henbury) ، وقد ساعدهما على مرافقة الجيش المصري القنصل الإنجليزي في القاهرة وقتها ماستر "بيترلي" (peterly) ، وبالرغم من أن محمد علي وابنه كانا يرفضان مرافقتهما إلا أنهما وافقا بعد تدخل القنصل سالف الذكر وسياسي آخر يُدعى ماستر "براين" (Brian) كانت تربطه علاقات صداقة مع (عابدين كاشف)

الرجل الثاني في الجيش المصري بعد إسماعيل ونائبه ، وفي نهاية المطاف لحق الإنجليزيان بالركب إلى السودان ، ووصلا إليه في نوفمبر ١٨٢٠م ، وتجولا في الأراضى السودانية ، وقدما تقارير كثيرة عن الحملة المصرية ، وأيضًا عن طبيعة البلاد وأهميتها ، ولم يكونا هما وحدهما الإنجليزيين المرافقين للحملة ، بل ظهرت أسماء أخرى من الرحالة أيضًا مثل "كورنر" (Corner) و"كونستانت" (Constant) ، وقد جُمعت مشاهدات جورج وادنغتون وهنبري وتقاريرهما في كتاب تم نشره في لندن عام ١٨٢٢م بعنوان" يوميات زيارة لبعض أجزاء إثيوبيا" (Journal of a Visit to Some Parts of Ethiopia)[٤٢] ، فضلاً عن "هوسكنس" (Hoskins) الذي زار السودان عام ١٨٣٣م ، وكتب تقريراً قال فيه :" إن سلطان محمد علي في السودان إنما يقوم على أساس من المتعذر هدمه ، إذ ترتكز دعائمه على سياسة ملؤها الحياة والنشاط ، ويشد من أزرها جيش منظمٌ وسلاحٌ حديث" ، بالإضافة إلى تسجيله لبعض المشاهد عمَّا قام به الباشا في السودان ، وزراها أيضًا "هولرويد" (Holroyd) عام ١٨٣٦م ، وأقام فيها ثمانية شهور ، و"بالم" (Pallme) الذي زارها في عام ١٨٣٧م ، وكان أكثرهم مكوثًا في المنطقة ، وقدم أيضًا العديد من التقارير التى نشرها في بلاده[٤٣] .

إنجلترا وحرب محمد علي في اليونان (١٨٢٤- ١٨٢٨م) :

أثناء اشتعال الثورة في اليونان جرت مباحثات بين الطرفين المصري والإنجليزى بخصوص هذه المسألة ، وكانت سياسة بريطانيا تهدف إلى المحافظة على أملاك الدولة العثمانية في ظل التوازن الدولي ، بجانب مؤزاتها للطرف المصري مقابل علاقاتها التجارية معه ، ولهذا كانت بريطانيا تنقل اليونانيين المتمردين على سفنها من منطقة نافارين (Navarin) التي يسيطر عليها إبراهيم باشا إلى منطقة "كالاماتا" (Kalamata)[٤٤] ، وقد حدث تواصل بين الباشا والقنصل العام (سولت) ، وعبر

الأخير خلال لقائه معه قائلاً :" بوصفنا أصدقاء أخبرني بيني وبينك عن طبيعة الخدمات التي تتوقع أن تتلقاها من بريطانيا العظمى" ، ورد عليه الباشا قائلاً :" سأتحدث دون أي تحفظات : إن المال ليس هدفي ، ولا أريده ، بل إنني أزدريه ، لكن بريطانيا تستطيع مساعدتي في بناء أسطولي ، إننى بحاجة إلى السفن ، وتستطيع بريطانيا تزويدي بها . . .وإذا أقرضتني قرضًا لمدة سنة أو اثنتين فسأستفيد من مثل هذه التسهيلات ، أما إذا رفضت ففرنسا والنمسا موجودتان ، لكني أفضل أن تقدم لي بريطانيا العظمى هذه الخدمة ، وبالإضافة إلى ذلك فإن وضعي الجغرافي يجعل بريطانيا العظمى أغلى شيء بالنسبة لي . . . وسأطلب أيضًا من بريطانيا العظمى أن تتركني أتصرف بحرية لكي أتوسع في شبه الجزيرة العربية إذا سنحت لي الفرصة"(٤٥) .

وقد كانت سياسة بريطانيا تجاه الجانب المصري دائمًا هي استغلالها للفرص والظروف ، حيث مدت له يد العون إثر دخوله في هذه الحرب عن طريق إمداده بالسفن والأسلحة ، وعلى الجانب الآخر تحاربه بتحالفها مع القوى الأوروبية الأخرى(٤٦) .

وهو يدرك جيداً تلك الأمور ، ولكنه يغض الطرف عنها ، والشاهد على ذلك حديثه عن موقفه من بريطانيا :" إن بريطانيا دولة قوية ، وتوقعت منذ فترة طويلة أنه لا يمكنني الشروع في عمل أي شيء على جانب من الأهمية بدون موافقتها ، وفي أية جهة أتوجه إليها أجدها هناك لإفشال ما أقوم به"(٤٧) .

وما يدل على سياسة إنجلترا المضادة للتوسع المصري أنها كانت على رأس الدول التي تصدت للتحالف المصري التركي الذي أُبرم بين الباب العالي والباشا ، وأرغمت الأخير على التراجع بعد التواصل الذي تم بينهما عن طريق القنصلية الإنجليزية في الإسكندرية ، وبمساعي القنصل العام "جون باركر" (John Parker)(٤٨) ، كما أنها

عقدت مع القوى الأوروبية معاهدة لندن في يولية ١٨٢٧م[٤٩] ، وقامت بإرسال أسطولها ضمن الأساطيل الأخرى إلى مياه اليونان ، وكان أول الأساطيل التي بادرت بالوصول إلى نافارين في نفس العام[٥٠] ، وكانت القيادة العامة لأساطيل الدول المشتركة في المعركة تحت زعامة القائد الإنجليزي "كدرنجتون" (Kidrington)[٥١] ، فضلاً عن تزعمها للحلف الثلاثي الروسي الفرنسي الإنجليزي ، وقاد الحلف اللورد "جورج كاننج" (George Canning)[٥٢]- والذي كان وزيراً للخارجية البريطانية في الفترة (١٨٢٢- ١٨٢٧م)- واستطاع تحقيق استقلال اليونان ، وقد أطلقت مدافع الحلف الثلاثي نيرانها على الأسطولين المصري والتركي[٥٣] .

إلى جانب أن إنجلترا وضعت مراقبين لها على تحركات الأسطولين المصري والتركي ، وبتعاون إنجليزي فرنسي تم إغراق الأسطول المصري ، ولم يكن ذلك دفاعًا عن اليونان أكثر منه الحد من نفوذ الباشا التوسعي الذي يهدد أمن تجارتها ، بجانب منع دخول الجانب الروسي في المسألة ، وفي النهاية بعد عدة معارك ، وتدمير الأسطول المصري في نافارين في نفس العام ، أرغم الأخير على الانسحاب من المورة في أكتوبر ١٨٢٨م[٥٤] .

والواقع أن بريطانيا كانت لها مصالح مع الطرفين المتنازعين ، ولا سيما أن بعض قادة الانتفاضة اليونانية قد حصلوا على قرض من بريطانيا في عام ١٨٢٤م ، ليكون للأخيرة الحق في التدخل لحماية مصالحها[٥٥] ، وليس هذا فحسب ، بل نُظمت حملة تبرعات وجمع أموال في بريطانيا من أجل تدعيم هذه القضية ، والتصدي للجيش التركي المصري ، كما تم نقل وتهريب كميات كبيرة من الأسلحة من الأراضى البريطانية إلى اليونان[٥٦] .

واشتد موقفها بعد تدخل الطرف الروسي نتيجة أطماع محمد علي ، ولأنها كانت تضع نصب عينيها عدم تمكين أيٍّ من القوات المصرية أو الروسية في هذه

المنطقة . وعلى الجانب الآخر كان قلقها من قيام دولة يونانية قوية تهدد كيان الدولة العثمانية التي حافظت على بقائها كسد بينها وبين الروس ، ومن ثم تقدمت بريطانيا لرسم خريطة اليونان مع الروس بعد الاستقلال ، كما أبعدت المناطق التي كانت قد استولت عليها في فترة سابقة وهي : كريت ، وجزر أيونيا ، وبعض جزر بحر إيجه خارج حدود الدولة اليونانية الجديدة(٥٧) .

وثمة مَن يلاحظ تدخل العديد من السياسيين البريطانيين كممثلين لسياسة حكومة التاج في ظل هذه الأزمة ، وهم : اللورد (جورج كاننج) الذي كان وزير الخارجية وقتها ، ثم من بعده اللورد "ولجنتون" (Wellington) الذي عُين في المنصب بدلاً من كاننج ، كما تدخل أمير البحار البريطاني اللورد "مالكولوم" الذي وفِد من الهند ، وفي الأخير سلمت القوات المصرية بالأمر الواقع ، وأُعلن استقلال اليونان نهائيًا ، وبهذا اطمأنت بريطانيا إلى إبعاد الجانب الروسي ، وتقليص النفوذ المصري ، وإن ظلت جزيرة كريت تحت الحكم التركي المصري لفترة محدودة(٥٨) ، ويتضح من ذلك أن إنجلترا كانت لها يد في افتعال هذه الأزمة لكي تضغط على الدولة العثمانية لإملاء شروطها ، ومن ناحية أخرى تُضعف قوة الباشا الصاعدة(٥٩) .

وعلى الصعيد البريطاني ومع ثلاثينيات القرن التاسع عشر وفي عام ١٨٣٠م نشبت مظاهرات في المدن الإنجليزية مطالبةً بتعديل اللوائح الانتخابية متأثرين بما حدث في فرنسا ، وبالفعل نجحت ثورتهم ، وتم تغيير الحكومة من حكم "ولنجتون" إلى حكم "غراي" (Gray) في ديسمبر من نفس العام(٦٠) ، أي الانتقال من حكومة المحافظين إلى حكومة الأحرار التي جاء فيها اللورد "بالمرستون" (Palmerston)(٦١) وزيراً للخارجية ، بالرغم من أنه في البداية كان من مؤيدي المحافظين وأفكارهم ، إلا أنه في الأخير أعرب عن عدم حسن إدارتهم للأمور ، ومن ثم ضمن لنفسه مقعداً في الحكومة الجديدة(٦٢) ، وهذا سيكون له أثر كبير في سياسة إنجلترا تجاه الباشا مع ثلاثينيات القرن التاسع عشر .

إنجلترا وحروب محمد علي في الشام (١٨٣١- ١٨٣٩م) :

لقد كانت سياسة إنجلترا الخارجية تجاه توسعات محمد علي مع ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر مغايرة لها عن الفترة السابقة ، وهو ما سيظهر عند توجه أنظار الباشا نحو بلاد الشام التي تم الاستيلاء عليها وإخضاعها للحكم المصري بعد الحرب التي عُرفت بحرب الشام الأولى (١٨٣١- ١٨٣٣م)[٦٣] .

وبالرغم من كراهية بالمرستون لمحمد علي وسياسته التوسعية إلا أنه في بداية أزمة الشام كان موقفه مختلفًا ، ومع أن الباب العالي "محمود الثاني" قد طلب الاستغاثة ببريطانيا ، لكن لم يُعِر وزير خارجيتها "بالمرستون" هذه القضية اهتمامًا[٦٤] ، وهذا الرفض لم يكن تأييداً للباشا ، بل بسبب انشغال بريطانيا بالحركات الاستقلالية في بلجيكا[٦٥] ، ومسألة الانتفاضات الثورية في البرتغال وإسبانيا ، وأيضًا الحركات الانفصالية في إيطاليا وألمانيا وبولندا ، وقد عبر (بالمرستون) عن أنه يؤيد وبشدة كل الحركات التحررية والإصلاحية التي تحدث في أوروبا ، ويجب أن ترسل بريطانيا المدد والعون لهم[٦٦] ، وفي تلك الفترة لم يكن لدى إنجلترا متسعٌ لإرسال قوات للسلطان العثماني[٦٧] ، فقام الأخير بالتوجه إلى الجانب الروسي القيصر "نيقولاس" (**Nicholas**) ، والذي تدخل على الفور ، وهنا تدخلت بريطانيا وفرنسا لحل الموقف ، ووافقتا على منح بلاد الشام للباشا مقابل رجوعه عن إستانبول ، وخروج القوات الروسية من البسفور[٦٨] ، والسؤال هنا هل بريطانيا بتنازلها لصالح دخول الباشا الشام ، وعدم مساعدتها للدولة العثمانية ناتج عن توتر علاقتها مع الباب العالي ، أم حدث تقارب في علاقاتها مع الباشا؟؟ . وفي الحقيقة لا هذا ولا ذاك ، حيث إن بريطانيا لم تكن تربطها علاقة صداقة بالباب العالي أو الباشا ، أو علاقة مودة معهما ، ولكن صداقتها كانت مرتبطة بمصالحها أينما وجدت ، وهذا يتضح من خلال تسليط الضوء على مصالحها الاقتصادية في الشرقين الأدنى والأقصى

خصوصاً في فترة الثلاثينيات ، بعد الانقلاب الصناعي في إنجلترا للمرة الثانية ، وغزو منتجاتها الشرق الأقصى (الهند والصين) ، وبالتالى حتم عليها هذا ضرورة تأمين طريق تجارتها ، وحاجتها إلى من يحقق لها هذا وخصوصاً عن طريق مصر ، كما أنها كانت على دراية كاملة بطموحات الباشا ، فضلاً عن تقاربه مع فرنسا التي حبذت اقتسام أملاك الدولة العثمانية بعد دخولها الجزائر ، وأيدت مشروع الباشا ، إلى جانب التقارب العثماني الروسي بعد معاهدة أدرنة . كل ذلك خلق أجواءً مختلفة داخل الأوساط البريطانية تجاه أزمة الشام ، فقدمت التبريرات سالفة الذكر ، وانشغالها عن المشكلة حتى تحدد وجهتها بعيداً عن الضغوط ، وظهر ذلك عند تدخل الروس في المسألة ، وجمعتها المصالح مع فرنسا من أجل إيقاف الزحف الروسي والمصري داخل الأراضى العثمانية[٦٩] ، وخصوصاً بعد عقد المعاهدة السرية بين الجانب الروسي والعثماني في يوليه ١٨٣٣م ، والتي عرفت باسم (هنكار أسكله) نظراً لخروج روسيا بعد معاهدة كوتاهية دون تحقيق أي مكاسب على حساب الباب العالي[٧٠] ، فتدخلت على الفور القوات الإنجليزية والفرنسية لحل هذه المشكلة ، وقد أقنعت كلتاهما الباب العالي بضرورة الموافقة على طلبات الباشا ، وإبعاد القوات الروسية عن أملاكهما ، فضلاً عن أن بريطانيا خلال تلك الفترة كانت لها مصالح كثيرة معه ، إلى جانب الحصول على كل ما تحتاجه من مواد خام من الحكومة المصرية ، وأيضاً تصدير معظم منتجاتها إلى السوق المصري ، كما أنه في تلك الفترة كانت بريطانيا تدرس خطط إقامة مشروع السكة الحديد عبر مصر للوصول إلى تجارتها في الشرق الأقصى بسهولة[٧١] ، ثم أخذت تسعى للحصول على تنازلات منه في الأراضي الخاضعة له وبخاصة الشام بعد عقد المعاهدة سالفة الذكر[٧٢] .

وبالفعل فتح الباشا الباب على مصراعيه في بلاد الشام أمام الامتيازات الأجنبية ولا سيما البريطانية ، واستغل القناصل العموميون هذه الأمور لصالحهم في تهريب البضائع ، وتحقيق المكاسب التجارية ، فضلاً عن التدخلات المستمرة بدعوى

حماية الأقليات المسيحية من البروتستانت والكاثوليك ، وانتشرت هذه الأمور داخل كل الموانىء التي تخضع للحكم المصري[٧٣] .

إلى جانب أن سياسة بريطانيا كانت بين شد وجذب تجاه الجانب المصري من أجل الحصول على امتيازات أكثر من الفرنسيين والروس ، ولأنها كانت تخشى دائماً من تمكين أيٍّ من هاتين القوتين في منطقة الشرق ، ومنافستها على طريق التجارة[٧٤] .

واستمرت السياسة البريطانية تسير على هذا المنوال تجاه مصر طوال فترة بقاء بالمرستون في منصبه كوزير للخارجية خلال السنوات من (١٨٣٠- ١٨٣٤ ، ومن ١٨٣٥- ١٨٤١م) ، ولكن هذا العداء كان متوقفًا على تبادل المصالح مع الباشا في البلاد التي تقع تحت سيطرته ، فضلاً عن أن بالمرستون هو من سبَّب النزاع والعداء ما بين الباب العالي والباشا .

وبالرغم من تأييد بالمرستون للحركات الاستقلالية والتحررية في أوروبا إلا أن موقفه تغير تجاه حركات الشرق نظرًا لمصالحهم الاقتصادية في تلك المنطقة ؛ فإذا أعطاهم الباشا امتيازات غضوا الطرف عن توسعاته ، والعكس إذا لم يمنحهم ، ولذلك نجد أن الباشا كان يحاول مرارًا وتكرارًا كسب ود بريطانيا ، وقدم لها الكثير من التسهيلات ، ومن ثم زادت نسبة صادرات بريطانيا إلى مصر من ٤٩,٣٧٧ جنيهًا استرلينيًا في عام ١٨٢٧م إلى ٢٣٧,٤٤٤ جنيهًا استرلينيًا في عام ١٨٤٠م ، كما ارتفعت نسبة استيراد مصر للمنسوجات القطنية الإنجليزية لنفس الفترة من ٢٧,٩٣٩ إلى ١٧٩,٣٢٨ جنيهًا استرلينيًا[٧٥] .

وقد عبر اللورد "صموئيل بريجز" (Samuel Briggs) الذي كان قنصلاً لبريطانيا في مصر ، ثم تحول إلى تاجر ومستثمر[٧٦] في حديث له مع اللورد بالمرستون عام ١٨٣٢م عن" أن محمد علي يجب دعمه على الاستقلال ، والوقوف بجانبه ؛ لأنه

حليفٌ مناسبٌ في التجارة"[٧٧] .

مع العلم أن بريطانيا خلال تلك الفترة كانت تعتمد على مصر بشكل كبير في الحصول على المواد الخام والمحاصيل ، وأيضًا في تصريف منتجاتها داخل الأسواق المصرية ، فلذلك أيدت الباشا في تمرده على السلطان ، وبناءً عليه تم عقد معاهدة كوتاهية في أبريل عام ١٨٣٣م[٧٨] .

هذا بالإضافة إلى أن بريطانيا قد وعدته قبل بداية حرب الشام بأنها ستكون على الحياد تجاه أية معركة تقع بينه وبين الباب العالي في منطقة الشام ، ودافعها وراء ذلك راجعٌ إلى عدة أمور منها : أن تستغل الحرب لتحقيق مكاسب لنشاطها التجاري عبر السويس والبحر الأحمر ، والطريق الآخر عبر الخليج العربي إلى الشام ، كما أنها تريد من جراء هذه الحرب أن تصنع سداً منيعًا بين روسيا والشرق بواسطة الباشا ، وأن الأخير حليف لا يمكن خسارته على حد قول رئيس الوزراء الإنجليزي المسيو "غراي"[٧٩] ، ولكن ما زاد الأمر سوءاً بالنسبة لبريطانيا هو أنه وبالرغم من أن بريطانيا تحرص على بقاء أملاك الدولة العثمانية ، إلا أن ذلك قد يتم التغاضي عنه من قِبل بريطانيا حسب الحاجة ، ومما جاء في هذا الصدد رسالة من اللورد (بالمرستون) إلى الكولونيل "كامبل" (Campbell)- قنصل بريطانيا في الإسكندرية ودمشق- يقول فيها :" ترى حكومة جلالة الملك أن ليس من المهم أن تحُول دون تمزيق أوصال الإمبراطورية العثمانية فقط ، بل أن تعارض حتى في فصل بعض ممتلكاتها ، وكان من المستحيل بداهة إعادة الحال إلى ما كانت عليه ، ولذا كان خير حل للإشكال أن تعطي سوريا لمحمد علي في مقابل شروط خاصة بالحربية والتجنيد مما يترك موارد الباب العالي كاملة غير منقوصة"[٨٠] ، وهذا معناه أن بريطانيا توافق على أن تَقتطع جزءاً من الأراضي العثمانية لصالح محمد علي الحليف الجديد ، أفضل من أن تقع بعض المناطق التركية في أيدي الروس كما فعلوا في السابق[٨١] .

ومع أن بالمرستون يرفض سيطرة الباشا قائلاً :" إن سيطرة تركيا على طريق الهند لا تفضُله سيطرة حاكم عربي نشط مهما يكن" ؛ أي أنهم يفضلون بقاء المنطقة تحت الحكم العثماني أفضل من تحوُّلها للحكم المصري(٨٢) ، وقال أيضا : "من الحماقة الكبرى أن تقوم بريطانيا ، دون التزام أخلاقي أو سياسي ، بأي عمل من شأنه أن يؤدي بطريق الفرات والسويس إلى الهند إلى الخضوع لسيطرة محمد علي في الوقت الذي أصبح فيه لهذين الطريقين أهمية سياسية بالغة"(٨٣) ، كما أضاف في هذا الصدد :" يجب أن نطلب في الحال من محمد علي أن ينسحب إلى مصر . . . فامتلاك سوريا سيجر معه بالضرورة امتلاك بغداد ، وتكفي نظرة واحدة إلى الخريطة لبيان ذلك . . . ولكن من المشكوك فيه أن يكون من مصلحة بريطانيا إضعاف السلطان إلى هذا الحد ، وأن تنشأ دولة جديدة في مصر وسوريا وبغداد . فمن الواضح أن استقطاع هذا القدر الكبير من أراضي وموارد السلطان سوف تجعله أعجز مما هو عليه بالفعل عن مقاومة روسيا ، وسيصبح فعليًا تابعًا لها . . . وليس هذا بالطبع ما نتمناه . . ."(٨٤) ، كما كتب إلى الوزير البريطاني في نابولي عام ١٨٣٣م يقول له : "إن هدف محمد علي الحقيقي هو إقامة ممكلة عربيةٍ تضم جميع البلاد التى يتحدث أهلها باللغة العربية ، وقد يكون هذا الأمر في حدِّ ذاته لا ضرر منه ، ولكنه يرمي إلى تقطيع أوصال تركيا ، وهو ما لا نرضى عنه أبدًا ، وفضلاً عن ذلك فإن أي ملك عربي- مهما بلغت قوته- لن يكون أقدر من تركيا على المحافظة على ما تحتله من طريق الهند" ، وعبر أيضًا عن مدى حقده على مشروع الباشا قائلاً :" إنني أكره محمد علي الذي أعتبره بربريًا جاهلاً أحرز النجاح عن طريق التحايل والوقاحة والفطنة ، وأنا أعتبر حضارته التي تُكال لها المدائح هراء في هراء"(٨٥) ، وهذه المواقف ، وتلك التصريحات أخذت في التزايد بعد أن صرح الباشا عن نواياه في تطبيق نظام الاحتكار في الشام ، فضلاً عن تقاربه مع فرنسا وخصوصًا بعد مشروع الجزائر الذي

أفشلته إنجلترا ، وترى الأخيرة أيضًا أن وجوده في الشام سيجر معه فرنسا أو روسيا[٨٦] .

وعلى إثر ذلك بدأت إنجلترا في التفاهم معه ومع باقى الدول من أجل حماية تجارتها ، وتأمين طريق مواصلاتها ، وبعد استباب الأمر له في بلاد الشام كان أول من حظي بالمعاملة الحسنة والتفضيل هم الإنجليز وعلى رأسهم القنصل الموجود في بلاد الشام ، وكذلك تجارهم ورعاياهم ، فضلًا عن الصداقة الموجودة بين الباشا والقنصل الإنجليزي العام في الإسكندرية الكولونيل "كامبل"[٨٧] .

هذا بالإضافة إلى نقل البريد الإنجليزي إلى الهند عبر مصر ، كما أنه غض الطرف عن الآثار المصرية التي تمت سرقتها على أيدي المستكشفين والرحالة الإنجليز ؛ وذلك نتيجة تعاونهم معه ، وتقديم بعض التسهيلات لاستباب الأمر له في الشام ، وما يمكن قوله هو أن أي طلب كان يقدمه إلى بريطانيا وتوافق عليه يكون مقيداً بشروط ، ولديها علم بما سيئول إليه هذا الطلب ، وتعلم أيضًا نواياه جيداً ، وحدود إمكانياته ، وتعلم التوقيت المناسب الذي يضمن لها تقييد تلك الحدود ، ولذلك لا تنفصل سياسة بريطانيا عن اقتصادها ، فالاثنان متصلان ببعضهما البعض ، فالاقتصاد يحرك السياسة ، والسياسة تفسح المجال للاقتصاد ، فمصالح بريطانيا السياسية والاقتصادية لا يمكن تحقيقهما من وجهة نظرهم إلا باستمرار التوازن الدولي[٨٨] .

وما يمكن استنتاجه من ترك بريطانيا لمحمد علي للمرة الثالثة للاستيلاء على مناطق جديدة رغم معارضة بعض سياسييها لهذه التواطؤات؟؟ ، يتبين من هذا أن سياسة حكومة التاج تجاه مصر مثل الذي ينتظر الصائد ليصطاد فريسته ، ثم يتقاسمها معه ، فتتركه يتوسع ، ثم توقفه في التوقيت المناسب ، وتحصل على ما تريده من تنازلات بخصوص تجارتها ، والأهم من ذلك أنها تضع في الاعتبار مسألة التوازن

الدولي- والذي يخص تفوق بريطانيا- في المقام الأول من جراء هذه السياسة ، وإن كانت بريطانيا قد غضت الطرف عن اقتطاعه لبلاد الشام من الدولة العثمانية ، إلا أنها تنظر بعين الريبة لتوسعات الباشا الإقليمية ، وتخشى على طريق مواصلاتها مع الشرق ، حيث بلغت تجارتها في الشرق الأقصى خلال تلك الفترة ذروتها .

ومن الجدير بالذكر أن بريطانيا لعبت دوراً كبيراً في افتعال مشاكل وعقبات للحكومة المصرية في بلاد الشام عن طريق إيعازها إلى الباب العالي بخطورة الموقف ، وقد شاركت الصحافة التركية بشكل كبير في هذه اللعبة ، حيث أفاض بعض الصحفيين في سوء معاملة الحكومة المصرية في بلاد الشام لرعايا بريطانيا ، كما نوَّه السفير التركي في لندن "مصطفى رشيد"[٨٩] في الفترة (١٨٣٤- ١٨٣٧م) عن أن الباشا لديه نوايا في التحالف مع كلٍّ من الجانبين الفرنسي والروسي على حساب الجانب الإنجليزي ، ونتجت عن ذلك بعض المشادَّات بين الباشا والقنصل الإنجليزي العام في الإسكندرية[٩٠] الذي ساهم في زيادة التوتر السياسي بين الباشا وبريطانيا ، وخصوصًا بعد تعيينه وزيراً للخارجية ، والمباحثات العديدة التي أجراها مع نظيره الإنجليزى "بالمرستون"[٩١] ، كما ساءت الأمور بين الباشا والدولة العثمانية بعد تولية (محمد خسرو باشا)- المعروف بكرهه وحقده على محمد علي منذ توليه الحكم- منصب سر عسكر القوات العثمانية في الفترة من عام ١٨٢٧- ١٨٣٦م[٩٢] .

ومن المعروف أن القوى الأوروبية- وعلى رأسها بريطانيا- كانت تترصد له ، وتتحين الفرصة المناسبة للقضاء على نفوذه ، وقد عبر هو عن ذلك في حديث له مع القنصل الروسي عام ١٨٣٤م قائلاً :" إذا تألَّبت الدول الأوروبية عليَّ فإن بوسعها ، وهذا ما أعرفه جيداً ، أن تسحقني ، وتقضي عليَّ . . . لكنني لن أسقط إلا بشرف . وعلى كل حال لا أعتقد أن أوروبا ستخصني وحدي بالظلم" ، أي أنه يشير إلى أن سقوطه سيكون ملازمًا لسقوط الدولة العثمانية[٩٣] .

وقد جاء دور بريطانيا في افتعال أزمة من خلال قناصلها في بلاد الشام ، ووزير خارجيتها "بالمرستون" ، والسفير الإنجليزي في إستانبول اللورد "ستراتفورد كاننج" (Stratford Canning) ، ومن هؤلاء القناصل القنصل الموجود في القاهرة "باركر" ، والقنصل الإنجليزي في صيدا اللورد "فارين" (Farin) ، حيث شرعوا في تأليب الشارع السوري على الحكم المصري ، كما أثار القناصل الإنجليز الموجودون في الشام بعض القلاقل مع الحكومة المصرية ؛ كمشكلة الحجر الصحي ، وعدم مراعاة شروطه ، ومشكلة شراء المأكولات بدون رسم ، والغلال بدون عوائد ، فضلاً عن التشهير بالحكم المصري وفساده[٩٤] ، إلى جانب الصدامات التي وقعت بين القنصل الإنجليزي العام وبين (شريف باشا) الحاكم المصري العام في بلاد الشام ، فيما قدمت الدولة العثمانية العديد من الامتيازات التي زادت من قوة القناصل في مصر والشام[٩٥] .

وقد أعرب إبراهيم باشا عن مساوىء هؤلاء القناصل في بلاد الشام قائلاً : "هؤلاء القناصل وبخاصة قناصل حلب وبيروت ودمشق هم مصدر عذاب لي إذ يعرقلون في كل لحظة سير شئون إدارتي ، فليس الباب العالي بقادر على عمل أي شيء ضدي ، أما القناصل فهم مصدر شقائي ، ولا أستطيع عمل أي شيء حيالهم ، وأنهم كارثة حقيقية على البلاد"[٩٦] ، ومن ثم عانت الإدارة المصرية أشد المعاناة من تعديات القناصل الإنجليز ورعاياهم مما جعل محمد شريف باشا يشكو إلى الباشا مما دعا الأخير إلى استبداله بسليمان باشا الفرنساوي للتعامل مع الأمور الأفرنجية ، ومفاد تلك الرسالة التي بعث بها شريف باشا إلى محمد علي أن قناصل بريطانيا قد اتجهوا إلى العمل في كل شيء سواء الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، إذ كان لقنصل بريطانيا في دمشق اللورد كامبل مزرعة وجفالك يستخدم فيها مزراعي البلاد ، ومما جاء في نص الوثيقة : "حضرة صاحب العطوفة والعناية والمروءة عزيزي ذي الشأن الجليل وأخي ذي الهمم السامية والشيم الكريمة : بالنظر لأن جناب القنصل العام

للإنجليز المقيم في دمشق له زراعة بجفلك أفندي بكري زادة في قرية درايا ، من قرى الشام ، فقد قُدمت إليَّ عريضة بأن خفر الجفلك المذكور ، وخوليه اعتديا على خولي الجفلك الآخر ، فكتب بناء على تذكرة للقنصل المومأ إليه ، وكتبت بديباجة التذكرة صورة العريضة المذكورة والتذكرة وصورة الجواب الوارد من القنصل ، وصورة الرد المكتوب له مرة أخرى ، فبعد التكرم بالاطلاع عليها إذا كان يلزم فإن عرضها على الذات الخديوية الكريمة يبقى منوطًا برأيكم السامي يا سيدي"[٩٧] .

وبالرغم من أن محمد علي حاول التقرب والتودد لحكومة التاج خلال تلك الفترة بعد وفاة الملك "ويليام الرابع" (William IV) ، وتولية الملكة "فيكتوريا" (Victoria) ابنة أخيه في يونيه ١٨٣٧م[٩٨] ، إلا أن الأخيرة سعت لوضع خططها لحل هذه المسألة ، والتي باتت تعرف "بالمسألة الشرقية" (The Eastern Question) عن طريق الإيعاز إلى الدولة العثمانية وسلطانها بضرورة محاربته ، وإخراجه من بلاد الشام ، حيث إنها كانت تتابع قوات الجيش المصري خلال تلك الفترة ، وأرسلت من قِبلها السفير البريطاني المستر "جون بورينج" (John Boring) الذي رفع تقريراً إلى حكومته بعدد قوات الجيش المصري ، وملابسهم ، ومرتباتهم ما بين عامي ١٨٣٧ ، ١٨٣٨م[٩٩] ، فضلاً عن تقارير السفراء والقناصل البريطانيين حول تحركات الباشا في هذه المنطقة ، وكتب بالمرستون إلى كامبل قنصله في مصر عام ١٨٣٧م قائلاً :" إني أكلفك بأن تخبر باشا مصر بأن حكومة جلالته تلقت تقارير عن تحركات جيوشه في سوريا والجزيرة العربية تدل على أنه ينوي مد سلطته إلى الخليج العربي وولاية بغداد . أعلِم الباشا صراحة أن الحكومة البريطانية لن تقف من تنفيذ هذه المشاريع مكتوفة اليدين"[١٠٠] .

وأيضًا من الأسماء التي لعبت دوراً مهمًا في التهيئة لخروج القوات المصرية من بلاد الشام القنصل الإنجليزى "ود" (Wood) ، وقد تعلم هذا البريطاني اللغة العربية

على يد "الخوري أرسيانوس الفاخوري" ، وتخلل إلى صفوف الأهالي ، وزرع الشقاق بينهم ، واستمرت مخططاتهم حتى القدوم على الاتفاق الإنجليزي التركي[١٠١] ، كما أن سفراء بريطانيا في الآستانة مارسوا دورهم السياسي بشكل كبير في ربط مصر وولاتها بالباب العالي ، ولا سيما فترة الباشا الذي حاول مراراً الخروج عن التبعية ، وتوسيع أملاك دولته على حساب جيرانه ، وهذا كان بالطبع لا يرضيها في المقام الأول ، ومن هؤلاء السفراء : اللورد "إلجين" (Elgin) ، و"ردكليف"(Redcliffe) ، و"هنري بلور" (Henry Blore) ، و"هنري لايارد" (Henry Layard) ، و"هنري إليوت" (Elliot Henry)[١٠٢] .

بالإضافة إلى أن قنصل إنجلترا في مصر والشام المدعو "كامبل" كان يجالس الباشا ، وفي نفس الوقت يعد التقارير ويرسلها إلى حكومته ، كما أنه استخدم سلطته في امتلاك الكثير من الأراضي ، والإساءة إلى أهالي البلاد في الشام ، وإثارة الفتن والقلاقل حتى قدَّم الباشا طلب نقله بناءً على طلبات القيادة المصرية في الشام ، نظراً لسوء أفعال كامبل في بلاد الشام ، واستغلال سلطته[١٠٣] ، ولكن هذه الموافقة من قِبل بريطانيا جاءت متأخرة جداً ، حيث استمر كامبل في منصبه من عام ١٨٣٢ حتى بداية عام ١٨٣٨م[١٠٤] .

وأيضًا كان لكامبل- سالف الذكر- دوره في إخطار حكومته بنوايا الباشا لَمَّا أعرب الأخير عن رغبته في مد توسعاته إلى الخليج العربي فيما بين عامي (١٨٣٤ ، ١٨٣٩م) ، فأسرع كامبل بإخطار وزير خارجيته "بالمرستون" بضرورة التدخل ، وقد حذر الأخير الباشا عن طريق القنصل من التوسع المصري في الخليج العربي . ولأنه في تلك الفترة كان معظم رؤساء قبائل الأحساء يدينون بالولاء للجانب المصري ، فضلاً عن نجاح قائد الحملة المصرية "خورشيد" في عقد اتفاقية مع شيخ البحرين ، وربط سياسة البلدين ببعضهما ، كل ذلك أثار غضب بريطانيا ، وأرسلت مبعوثًا من طرفها ،

ولكن هذا الأمر لم يفلح في البداية ، ولكن مع ضغطها عليه ، وإصدار قراراتها بتقليص النفوذ المصري في الخليج العربي ، وإثارتها للخلافات الأسرية في منطقة الخليج ، كل ذلك أفقد الجانب المصري سيطرته على الأخيرة[١٠٥] ، ومن ثم قام السفير البريطاني في استانبول اللورد "بونسونبي" (Ponsonby) ، وبتدبير من "بالمرستون" بعقد معاهدة مع الدولة العثمانية عام ١٨٣٨م عُرفت باسم (بلطه ليمان) تنص على إلغاء الاحتكارات داخل أراضي الدولة العثمانية[١٠٦] ، فضلاً عن أنها وضعت تعريفة جمركية ثابتة على المنتجات الإنجليزية الواردة إلى أراضي الدولة العثمانية بنسبة ٣٪ فقط[١٠٧] ، وبالأخص داخل الأراضي المصرية ، وطالبت باستمرار تخفيض تلك الرسوم ، والحصول على نفس الامتيازات الممنوحة للروس في مصر وبلاد الشام[١٠٨] ، ووفرت لنفسها سوقًا لتصريف منتجاتها ، والحصول على المواد الخام[١٠٩] ، كما تضمنت مراقبة بريطانيا للسفن المصرية وتفتيشها ، وأيضًا دفاعها عن الدولة العثمانية ضد أي اعتداء ، وهذا ما كانت تسعى إليه حكومة بالمرستون ، وبالتالي تشجعت الدولة العثمانية على ملاقاة قوات الباشا ، وإخراجها من سوريا ، ودار الصراع بين الأخير والقوات العثمانية ، وفي البداية تمكنت القوات المصرية من تحقيق الانتصار ، ولكن في النهاية تحالفت القوى الأوروبية ضده[١١٠] .

مما سبق يتضح أن الاقتصاد هو الذي قاد سياسة إنجلترا في بداية أزمة الشام ، في حين تناغمت السياسة مع الاقتصاد حتى عام ١٨٣٨م في استراتيجية متكاملة . وعلى كلٍّ فإن الأحداث التالية ، وحتى تسوية لندن كانت تسير في إطار ما نسجته إنجلترا من خيوط اقتصادية وسياسية لتسوية الأمور في مصلحتها . ونتيجةً لكل التطورات السابقة ، ولأن إنجلترا خاصة- ومعها الدول الكبرى الأخرى بدرجة أو بأخرى- أخذت موقفًا مؤيداً وداعمًا للدولة العثمانية ، ولأن الدولة كانت تريد القضاء على محمد علي ، واستعادة ما ضاع منها . . . نتيجةً لذلك كانت الدولة العثمانية

هي البادئة بالعدوان على الأراضي التي حددتها "اتفاقية كوتاهية" لمحمد علي ، فكانت معركة نصيبين في ٢٤ يونيو ١٨٣٩م[١١١] ، والتي أسفرت عن وقوف الدول الأوروبية الكبرى- عدا فرنسا- ضد محمد علي المُنتصر . وقد عبر عن ذلك السفير الإنجليزي في الآستانة "بونسونبي" لمحمد علي :" إذا كان النجاح حليفك في الحرب ضد السلطان ، فلن تسمح لك بريطانيا باجتناء ثمرة واحدة لانتصارك . . إن بريطانيا ستقطع عليك السبيل . . . وفي وسعها أن تجعل نفوذك أثراً بعد عين ، وأن تقذف بك عارياً في الصحراء"[١١٢] ، وفي تلك المواجهة كانت إنجلترا على رأس القائمين على الأمور ، والموجهين لها ، وكذا كانت المُستفيدة على حساب الجميع : مصر ، والدولة العثمانية ، وروسيا ، وفرنسا[١١٣] . فمحمد علي تم إجباره على الانسحاب إلى مصر والسودان ، بما يعني تدمير مشروعه التوسعي والاستقلالي في أبعاده السياسية والاقتصادية والاستراتيجية لاسيما في ظل معاهدة بالطه ليمان . أما الدولة العثمانية ، التي استعادت معظم أراضيها من محمد علي ، فأُجبرت على فتح كل دولتها أمام المصالح والامتيازات الإنجليزية أولاً ، والأوروبية ثانياً .

* * *

في نهاية القول يتبين أنه لا يمكن دراسة موقف إنجلترا من حروب محمد علي وتوسعاته بقدر من الموضوعية إلا في إطار العلاقة الجدلية بين مصالحها الاقتصادية وأطماعها السياسية من ناحية ، وبين مصالح وأطماع ومواقف القوى الكبرى من ناحية أخرى ، وربما فسر لنا ذلك كيف كانت ردود أفعالها مختلفة مقارنة بردها أثناء حملتي الباشا على الحجاز ، وبين مشروعه في ضم الشام . ومع أن الباشا خطَّط ونجح في تنفيذ مشروعاته التوسعية بقدر ما أثبتت الأحداث أن خططه هذه كانت الأكثر مجازفةً .

وبقدر ما كان المشروع هو الأسرع في نجاحاته ، بقدر ما كان الأسرع في فشله .

وبقدر ما كان المشروع بمثابة ذروة قوة الباشا وتوسعاته واقترابه من الاستقلال بمصر والمناطق التي ضمتها ، بقدر ما كان في النهاية السبب الرئيسي في إضعافه ، وتحجيم دولته ، وبعده عن الاستقلال . بمعنى آخر لا يمكن فصل السياسة عن الاقتصاد في مواقف الدول الأوروبية الكبرى- وإنجلترا بشكل خاص- من مشروع محمد علي التوسعي .

والحقيقة أننا أمام قضية مهمة في تاريخ مصر الحديث ألا وهي الإمبريالية الإنجليزية ، وكيفية تمكينها من مصر ، حيث بدأت في دراسة مصر من كافة النواحي عن طريق الرحالة والقناصل ورجال الدين ، ثم موقفها من مشروع الباشا وتوسعاته ، وقد كان واضحًا للعيان التغلغل الإنجليزى داخل الأوساط المصرية ، وترقبها لسير الأمور ، وصولاً بعد ذلك إلى مشروعها الاستعماري مع الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

الهوامش

(١) للمزيد من التفاصيل انظر يونان لبيب رزق ، رءوف عباس ، عبدالعظيم رمضان : أوروبا في عصر الرأسمالية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص١١٠-١١٨ . مفيد الزيدي : موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، ج١ تاريخ أوربا في العصور الوسطى(٤٧٦- ١٥٠٠م) ، ط٣ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٩م ، ص٦٢٢-٦٢٧ .

(٢) سعدون إبتسام : التنافس الاستعماري الفرنسي البريطاني على مصر١٨٨٢-١٧٩٨م ، رسالة ماجستير- قسم التاريخ- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة محمد بوضياف المسيلة ، الجزائر ، ٢٠١٦ ، ص١٢ ؛ سامي صالح محمد الصياد : مرجع سابق ، ص٥١ ؛ حسين فوزي النجار : مرجع سابق ، ص٦٧ .

(٣) سعدون إبتسام : مرجع سابق ، ص١٧ . إلهام محمد على ذهنى : مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص٣٦- ٣٨ . عبدالعزيز سليمان نوار ، عبدالمجيد نعنعي : مرجع سابق ، ص٧٩- ٨٢ ؛ محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص٧٦- ٨٠ .

(٤) عبد الإله أحمد مصطفى : مرجع سابق ، ص٦٣ ؛ محمد حسن زماني : مرجع سابق ، ص١٢٥ . محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية وظهور محمد علي ، مرجع سابق ، ٨٣- ٨٥ .

(٥) سعدون إبتسام : مرجع سابق ، ص١٨ . جون نوريش : مرجع سابق ، ص٥٠٤ . خوان كول : مصر تحت حكم بونابرت غزو الشرق الأوسط ، ترجمة : مصطفى رياض ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٣ ، ص٦٧-٦٨ .

(٦) د . إيه . كاميرون : مصر فى القرن التاسع عشر أو محمد على ومن خلفوه إلى الاحتلال البريطاني فى العام ١٨٨٢ ، ترجمة : صبري محمد حسن ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٩ ، ص٤٤ . محمد أنيس : بريطانيا وطريق السويس ، مرجع سابق ، ص٨- ٩ .

(٧) جان جاك لوتي : نظرة على مصر فى زمن بونابرت ، ترجمة : ناجي رمضان عطية ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص٦٩ .

(٨) مصطفى الحنفاوي : مرجع سابق ، ص٥٧ .

(٩) جون نوريش : الأبيض المتوسط " تاريخ بحر ليس كمثله بحر" ، ترجمة طلعت الشايب ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٥ ، ص٥٠٦-٥٠٧ . عزت حنفي أفندي الدارندلي : مرجع سابق ، ص٢١- ٢٢ . محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية وظهور محمد علي ، مرجع سابق ، ص١٠٩- ١١٢ .

(١٠) سعدون إبتسام : مرجع سابق ، ص٢٠- ٢١ .

(١١) جون نوريش : مرجع سابق ، ص٥٠٩ .

(١٢) د . إيه . كاميرون : مرجع سابق ، ص٦١ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ . محمد عبدالفتاح أبو الفضل : الصحوة

المصرية في عهد محمد على ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٤ . جون جوليوس نوريش : مرجع سابق ، ص٥٣٧ .

(١٣) سعدون إبتسام : مرجع سابق ، ص٢٣ ، ٢٧ ؛ جون جوليوس نوريش : مرجع سابق ، ص ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٣٣ ؛ عزت حنفي أفندي الدارندلي : الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني ، ترجمة جمال سعيد عبدالغني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٢١-٢٦ ؛ مجموعة باحثين إيطاليين : الإسهامات الإيطالية في دراسة مصر في عصر الباشا ، ترجمة عماد البغدادي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥ ، ص٨٦- ٨٧ ؛ كرستوفر هيرولد : بونابرت في مصر ، ترجمة فؤاد أندراوس ، مراجعة محمد أنيس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص٣٨٩ ؛ - Kathryn James, Creating A Nation In Adversity: Advent Of Egyptian Nationalism In British Occupation, Master of Arts in History, Bachelor of Science in EducationUniversity of Nevada, Las Vegas May 2012, p. ٢٢ -٢١ .

(١٤) روجيه جوانت داجنت : تاريخ البحر الأحمر من ديليسبس حتى اليوم ، ترجمة حسن نصر الدين ، ط١ ، ج١ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٩ ، ص٣٨٦ ؛ د .إيه .كاميرون : مصر فى القرن التاسع عشر أو الباشا ومن خلفوه إلى الاحتلال البريطاني فى العام ١٨٨٢ ، ترجمة صبري محمد حسن ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٩ ، ص٥٩- ٦١ .

(١٥) جون جوليوس نوريش : مرجع سابق ، ص ٥٣٦- ٥٣٧ ؛ وانظر حسين فوزي النجار : السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط ، ج١ ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣ ، ص١٨٦ ؛ هنري دودويل : الاتجاه السياسي لمصر في عهد الباشا مؤسس مصر الحديثة ، ترجمة أحمد محمد عبدالخالق وعلي أحمد شكري ، تقديم محمد عفيفي ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠٠٧ ، ص٢٥ ؛ آمال إبراهيم محمد : الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٤٨ ؛ آمال السبكي : أوربا في القرن التاسع عشر "فرنسا في مئة عام" ، عالم المعرفة ، جدة ، السعودية ط١ ، ١٩٨٥ ، ص٦٩ ؛ مصطفى الحنفاوي : قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة ، ج١ ، مطبعة مصر ، ١٩٥٢ ، ص٦٣- ٦٤ ؛ - ه . ا . ل . فشر : تاريخ أوربا في العصر الحديث(١٧٨٩- ١٩٥٠م) ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ، وديع الضبع ، تقديم محمد شفيق غربال ، المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٩ ، ص٧٤ .

(١٦) محمد عبدالفتاح أبو الفضل : مرجع سابق ، ص ١٨ ، ١٩ ؛ وانظر ليلى سليمان نجار : أثر الثقافتين الفرنسية والإنجليزية في مصر منذ ابتداء عصرالنهضة حتى قيام الجامعة المصرية ١٩٢٥م ، الجامعة الامريكية بيروت ، ١٩٦٥م ، ص٢٤ .

(١٧) عبدالحميد البطريق : عصر الباشا ونهضة مصر في القرن التاسع عشر (١٨٠٥- ١٨٨٣) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص١٧ .

(١٨) صلاح أحمد هريدي : دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر(١٨٠٥- ١٨٨٢م) ، ج٢ ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٠ ، ص٢٠- ٢٤ .

(١٩) عفاف لطفي السيد مارسو : مصر في عهد الباشا ، ترجمة عبدالسميع عمر زين الدين ، مراجعة السيد أمين شلبي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤ ، ص١٠٣ ؛ ادوار جوان : مصر في القرن التاسع عشر سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان الباشا باشا وإبراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية ، ترجمة محمد مسعود ، ط٢ ،مصلحة التجارة والصناعة القاهرة ، ١٩٣١ ، ص٣٥٢- ٣٦٨ ؛ محمد فؤاد شكري : مصر في مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠١- ١٨١١م) ، ج١ ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٠ ، ص١٢٤ ؛ عصام محمد شبارو : المقاومة الشعبية المصرية للإحتلال الفرنسي والغزو البريطاني ، دار التضامن للطباعة والنشر ، ١٩٩٢ ، ص١١٣ ؛ عبدالحميد البطريق : مرجع سابق ، ص١٧- ١٨ .

(٢٠) محمد عبدالفتاح أبو الفضل : مرجع سابق ، ص٢٦- ٢٧ ؛ وانظر محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد الباشا والمسألة الشرقية (١٨١١- ١٨٤٩م) ، ترجمة ناجي رمضان عطية ، ج١ ، مرجع سابق ، ص٦٠- ٦٥ .

(٢٢) ريمون فلاور : مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر ، ترجمة سيد أحمد علي الناصري ، تقديم ومراجعة يونان لبيب رزق ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠ ، ص٩٦- ٩٧ ؛ محمد فؤاد شكري : مصر في مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠١- ١٨١١م) ، ج١ ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٠ ، ص١٨ .

(٢٢) هنري دودويل : مرجع سابق ، ص٦٦- ٦٧ .

(٢٣) فرد لوسون : الأصول الاجتماعية للسياسة التوسعية لمصر في عهد الباشا ، ترجمة عنان الشهاوي ، مراجعة وتقديم رءوف عباس ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥ ، ص١٠٧- ١٠٨ ؛ مجموعة باحثين إيطاليين : مرجع سابق ، ص١٥٤ ؛ - فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨١ ، ص٢٦- ٢٩ .

(٢٤) لوثرروب ستودار : حاضر العالم الإسلامي ، تعليق على الحواشي والفصول شكيب ارسلان ، ترجمة عجاج نويهض ، مج ٤ ، مكتبة وطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ١٣٥٢ه- ١٩٣٤م ، ص٣٤١- ٣٤٣ ؛ محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد إسماعيل والتدخل الأنجلو فرنسي (١٨٦٣- ١٨٧٩م) ، ترجمة ناجي رمضان عطية ، مراجعة أحمد زكريا الشلق ، ج٢ ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص ١٢ ؛ عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي دراسة وثائقية ، ط١ ، دار المريخ ، ١٩٨١ ، ص ١٠٥- ١١٠ ؛ رونالدو أوليفر - أنتوني أتمور : أفريقيا منذ عام ١٨٠٠ ، ترجمة فريد جورج ، مراجعة عبدالله عبدالرازق إبراهيم ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥ ، ص ٥٦- ٥٧ ؛ - ل .أ . سيديو : تاريخ العرب العام إمبراطورية العرب ؛ حضارتهم- مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية ، ترجمة عادل زعيتر ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠٢٠ ، ص٤٤٤-٤٤٥ .

(٢٥) طوسون : هو الابن الثاني للباشا بعد إبراهيم المولود (١٧٩٣- ١٨١٦) ؛ وهو الذى قاد الحملة العسكرية على بلاد الحجاز عام ١٨١١ ، وأقيمت على شرفه حفلة القلعة التى أودت بحياة المماليك ، وكان هذه القائد يتسم بالشجاعة والطيبة والصلاح على حد قول المؤرخين ، وقد أصيب بمرض وافته

المنية بسببه أثناء عودته من الحجاز وهو في طريقه إلى الدلتا عام ١٨١٦ ؛كارولين جوتييه كورخان : العلاقات المصرية الفرنسية في عهد الباشا (١٨٠٥- ١٨٤٩م) ، ترجمة نانيس حسن عبدالوهاب ، مراجعة وتقديم مجدي عبدالحافظ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٥ ، ص١٧٣ ؛ عفاف لطفي السيد مارسو : مرجع سابق ، ص١٣١ ؛ عصام عبدالفتاح : مرجع سابق ، ص٩٧- ٩٨ .

(٢٦) عمر عبدالعزيز عمر : تاريخ مصر الحديث والمعاصر(١٥١٧- ١٩١٩م) ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣ ، ص٢٣٠ ؛ جي فارجيت : الباشا مؤسس مصر الحديثة ، محمد رفعت عواد ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٣ ، ص٧١ ؛ مراسلات قناصل فرنسا في مصر : مرجع سابق ، ص٢٥٤- ٢٥٧ ؛ فؤاد سعيد العابد : مرجع سابق ، ص٦١ ؛ - ل .أ . سيديو : مرجع سابق ، ص٤٤٥- ٤٤٨ .

(٢٧) توفيق خلف ياسين : التنافس البريطاني المصري حول البحرين في القرن التاسع عشر ، مجلة سرى من رأى ، العدد الأول ، ٢٠٠٥ ، ص٣٨ ؛ محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد إسماعيل والتدخل الأنجلو فرنسي (١٨٦٣- ١٨٧٩م) ، ترجمة ناجي رمضان عطية ، مراجعة أحمد زكريا الشلق ، ج٢ ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص١٥ ، ١٠٢ ؛ مجموعة باحثين إيطاليين : مرجع سابق ، ص٨٩ ؛ فؤاد سعيد العابد : مرجع سابق ، ص١٢٠- ١٢١ .

(٢٨) هنري دودويل : مرجع سابق ، ص٥٦ ، ٦٣ .

(٢٩) محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد إسماعيل والتدخل الأنجلو فرنسي (١٨٦٣- ١٨٧٩م) ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٣٠) زوات عرفان المغربي : العلاقات المصرية اليمنية النصف الأول من القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٠ ، ص٦٧- ٧٠ .

(٣١) ميناء مخا : هو ميناء اليمن القديم ، وهو الطريق التجارى ذو الأهمية الكبيرة في تصدير البن اليمنى للخارج ، وعرف باسم بن المخا ، وبعد الاستيلاء عليه من قبل الإنجليز ، ثم إنشاء ميناء الحديدة ، وتحول التجارة إلى ميناء عدن فقد أهميته خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ؛ للمزيد انظر طارق عبدالعاطي غنيم : سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨١١- ١٨٤٨م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص٢٨ .

(٣٢) نصت الإتفاقية على : ١- أن يتم تعيين حرس من الرعايا الإنجليز عبارة عن ٤٠ نفر للقيام بأداء واجب التعظيم للقنصل الموجود في مخا . ٢- أن جميع القضايا المتعلقة بشركة الهند الشرقية البريطانية وسائر الرعايا الإنجليز يفصل فيها بمعرفة القنصل البريطانى في مخا٣ .- تخفيض الرسوم الجمركية على البضائع البريطانية إلى أن وصلت ٢,٥٪ ٤ .- السماح للمقيم البريطانى بالظهور أمام الناس وهو على ظهر جواده . ٥- تخصيص قطعة أرض لتكون مقبرة لدفن الموتى المسيحيين . ٦- بناء مخزب للفحم على الساحل وفتح بابه من جهة البحر الأحمر ؛ ويتبين من تلك الشروط السابقة مدى الحرمان الذى كان يعانى منه الإنجليز داخل بلاد الحجاز واليمن طوال فترة خضوعهما للحكم العثمانى . أما الأن فأصبح الوضع مختلفاً تماماً وتسعى بريطانيا لتأمن نفسها وتجارتها من كل

الجهات ، وخاصة التى يحاول الباشا الوصول إليها . للمزيد انظر زوات عرفان المغربي : مرجع سابق ، ص١١٣ ؛ محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد الباشا والمسألة الشرقية (١٨١١- ١٨٤٩م) ، ترجمة ناجي رمضان عطية ، مراجعة أحمد زكريا الشلق ، ج١ ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٢ ، ص١٠٩- ١١٢ ؛ عفاف لطفي السيد مارسو : مصر في عهد الباشا ، ترجمة عبدالسميع عمر زين الدين ، مراجعة السيد أمين شلبي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤ ، ص٣٠٧ ؛ محمد السيد سليم : تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ط١ ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص١٠١ ؛ - روجيه جوانت داجنت : تاريخ البحر الأحمر من ديليسبس حتى اليوم ، ترجمة حسن نصر الدين ، ط١ ، ج١ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٩ ، ص٦٥ .

(33)-(LAJPAT RAI, England's Debt to India A Historical Narrative of Britain's Fiscal Policy in India, New York B.W.Huebsch,1917, p114.

(٣٤) جاسم محمد شطب : النفوذ البريطان يوتجارة الرقيق في الخليج العربي في القرن التاسع عشر ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، العدد ٢ ، ٢٠١٢ ، ص٢ .

(٣٥) إسماعيل : هو ابن الباشا الثالث في الأولاد (١٧٩٥- ١٨٢٢) ، هو الذى حمل مفاتيح بلاد الحجاز بعد سيطرته أخيه طوسون عليها ونقلها إلى الباب العالى باسطنبول ، و قاد حملة مصرية إلى السودان في عام ١٨٢٠ ، وفي ١٨٢١ ، ووصل إلى ملتقى النهر الأبيض بالنهر الأزرق بقلب السودان ، واستم بالقسوة في تعامله مع ملوك هذه المناطق بالسودان ، وهدد أحد ملوك سنار ، إلى أن الأخير قام بإحراق المكان الذى كان يقيم فيه إسماعيل وجنوده ، وتوفي محروقًا عام ١٨٢٢م . للمزيد انظر كارولين جوتييه كورخان : العلاقات المصرية الفرنسية في عهد الباشا (١٨٠٥- ١٨٤٩م) ، ترجمة نانيس حسن عبدالوهاب ، مراجعة وتقديم مجدي عبدالحافظ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٥ ، ص١٧٤ ؛ محمد مورو : تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى ثورة يوليو (١٧٩٨- ١٩٥٢م) صفحات من كفاح الشعب المسلم في مصر ، د . ت ، ص١٦٦ ؛ عفاف لطفي السيد مارسو : مصر في عهد الباشا ، ترجمة عبدالسميع عمر زين الدين ، مراجعة السيد أمين شلبي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤ ، ص١٣٥ .

(٣٦) جي فارجيت : الباشا مؤسس مصر الحديثة ، محمد رفعت عواد ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٣ ، ص٧٣ .

(٣٧) مجموعة باحثين إيطاليين : مرجع سابق ، ص ٩٠ ؛ وانظر محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد الباشا والمسألة الشرقية (١٨١١- ١٨٤٩م) ، ج١ ، مرجع سابق ، ص١٢٣ ؛ عمر عبدالعزيز عمر : مرجع سابق ، ص٢٣٢ ؛ أ . ب . كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، ترجمة وتحرير محمد مسعود ، تقديم أحمد زكريا الشلق ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠١١ ، ص٦٤ ؛ صالح جودت : مصر في القرن التاسع عشر ، مكتبة الشعب ، د . ت ، ص١٤ ؛ محمد فؤاد شكري : الحكم

المصري في السودان (١٨٢٠- ١٨٨٥م) ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ ، ص٢٣- ٢٥ ؛ - الشاطر بصيلى عبدالجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادى ، دراسات تاريخية سودانية ، تقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة الشريف الأكاديمية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ ، ص١٥٤- ١٥٦ ؛ هنري دودويل : الاتجاه السياسي لمصر في عهد الباشا مؤسس مصر الحديثة ، ترجمة أحمد محمد عبدالخالق وعلي أحمد شكري ، تقديم محمد عفيفي ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠٠٧ ، ص٥٩ .

(٣٨) رونالدو أوليفر - أنتوني أتمور : أفريقيا منذ عام ١٨٠٠ ، ترجمة فريد جورج ، مراجعة عبدالله عبدالرازق إبراهيم ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥ ، ص ٥٨ .

(٣٩) إدوارد روبيل : رحلات في شمال السودان وكردفان وشبه جزيرة سيناء وساحل الحجاز خاصة من منظور جغرافي إحصائى ، ترجمة فادية فضة وحامد فضل الله ، مراجعة خالد محمد فرج ، تقديم أحمد إبراهيم أبو شوك ، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع ، ٢٠١٩ ، ص١٥-١٦ ؛ نسيم مقار : الرحالة الأجانب في السودان (١٧٣٠- ١٨٥١) ، ط١ ، مركز الدراسات السودانية ، ١٩٩٥ ، ص١٢٠- ١٢٥ .

(٤٠) محمد فؤاد شكري : الحكم المصري في السودان(١٨٢٠- ١٨٨٥م) ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ ، ص٣٠- ٣١ .

(٤١) طارق عبدالعاطي غنيم : سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨١١- ١٨٤٨م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص١٣ ؛ جي فارجيت : الباشا مؤسس مصر الحديثة ، محمد رفعت عواد ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٣ ، ص٧٣- ٧٤ ؛ عبدالوهاب علوب : معجم المصطلحات السياسية(عربي- إنجليزي) ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١١ ، ص١٠٠ .

(٤٢) محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١هـ- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، محفظة نمره ٥ ، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ غرة ذو القعدة ١٢٥١هـ- فبراير ١٨٣٦م ، ص٩٧ .

(٤٣) محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٣٤٨ ، أبحاث في التجارة ، دار الكتب والوثائق القومية ، الفترة التاريخية من ١٢٤٠- ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٤- ١٨٢٧م ، محفظة رقم ٣ ، وثيقة رقم ١٠٦ ، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٤٣هـ/ ٢٤ أغسطس ١٨٢٧م ، ص ٢٨٤ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٣٤٨ ، أبحاث في التجارة ، دار الكتب والوثائق القومية ، الفترة التاريخية من ١٢٤٠- ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٤- ١٨٢٧م ، محفظة رقم ٣ ، ملخص الوثيقة نمرة ١١٣ ، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٤٣هـ/ ٢٤ أغسطس ١٨٢٧م ، ص٢٩٠ ؛ محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد الباشا والمسألة الشرقية (١٨١١- ١٨٤٩م) ، ترجمة ناجي رمضان عطية ، مراجعة أحمد زكريا الشلق ، ج١ ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٢ ، ص١٣٧ ، ١٤٦ .

(٤٤) مجموعة باحثين : حرب المورة في الوثائق النمساوية ، ترجمة ومراجعة عبدالله محمد أبو هشة وآخرون ، مراجعة تاريخية علي بركات ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠٠٩ ، ص٩٦- ١٠٢ .

(٤٥) محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد الباشا والمسألة الشرقية (١٨١١- ١٨٤٩م) ، ج١ ، مرجع سابق ، ص١٩١ .

(٤٦) محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٣٤٨ ، أبحاث في التجارة ، دار الكتب والوثائق القومية ، الفترة التاريخية من ١٢٤٠- ١٢٤٣ه/ ١٨٢٤- ١٨٢٧م ، محفظة رقم ٣ ، ديوان التجارة والمبيعات ، ملخص الوثيقة التركية نمرة ٨٥ ، بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٤٢ه/ ٢٨ فبراير ١٨٢٧م ، ص ٢٦٨م ؛ وانظر محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٣٤٨ ، أبحاث في التجارة ، دار الكتب والوثائق القومية ، الفترة التاريخية من ١٢٤٠- ١٢٤٣ه/ ١٨٢٤- ١٨٢٧م ، محفظة رقم ٣ ، ديوان التجارة والمبيعات ، ملخص الوثيقة رقم ٩٤ تركى ، بتاريخ ٢٩ ذى الحجة ١٢٤٢ه/ ٢٦ يونيه ١٨٢٧م ، ص ٢٧٩ ؛ -عبده مباشر : البحرية المصرية من الباشا إلى السادات (١٨٠٠- ١٩٧٣) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٩ ، ص٤١ .

(٤٧) جي فارجيت : الباشا مؤسس مصر الحديثة ، محمد رفعت عواد ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٣ ، ص١٣٢- ١٣٣ ؛ صالح جودت : مصر في القرن التاسع عشر ، مكتبة الشعب ، د . ت ، ص١٥ .

(٤٨) مجموعة باحثين : حرب المورة في الوثائق النمساوية ، مرجع سابق ، ص٤٥٣- ٤٥٥ .

(٤٩) مصطفى الحنفاوي : قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة ، ج١ ، مطبعة مصر ، ١٩٥٢ ، ص٧٤ ؛ جي فارجيت : الباشا مؤسس مصر الحديثة ، محمد رفعت عواد ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٣ ، ص٨٤ ؛ أحمد زكريا الشلق : العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة(١٥١٦- ١٩١٦م) ، ط١ ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ ، ص١٧٠ .

(٥٠) محمد صبري السربوني : تاريخ مصر من الباشا إلى العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص٦٣- ٦٤ ؛ وانظر بول كيندى : القوى العظمى التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري (١٥٠٠- ٢٠٠٠م) ، ترجمة عبدالوهاب علوب ، ط١ ، دار سعاد صباح ، ١٩٩٣ ، ص٢٢٣ ؛ محمد رفعت : تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة ، دار المعارف- مصر ، ١٩٣٧ ، ص١٠٤ ؛ - ه . ا . ل . فشر : تاريخ أوربا في العصر الحديث(١٧٨٩- ١٩٥٠م) ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ، وديع الضبع ، تقديم محمد شفيق غربال ، المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٩ ، ص١٢٨- ١٢٩ ؛ - عبدالعظيم رمضان : تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ، ج٢ من تسوية مؤتمر فيينا ١٨١٥ إلى تسوية مؤتمر فرساي ١٩١٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١ ، ص٤٨-٤٩ .

(٥١) عمر الإسكندرى ، وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر ، مراجعة أ .ج . سفدج ، مؤسسة هنداوى ، ٢٠١٧ ، ص١٧٠- ١٧٢ ؛ عبده مباشر : البحرية المصرية من الباشا إلى السادات (١٨٠٠- ١٩٧٣) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٩ ، ص٦٣- ٦٦ ؛ عبدالحميد

البطريق : مرجع سابق ، ص٩٦ ؛ د .إيه .كاميرون : مرجع سابق ، ص١١ ، ٢٠ .

(٥٢)- اللورد جورج كاننج : ولد كاننج عام ١٧٧٠ ، وكانت أسرته غير ميسورة الحال ووالدته ممثلة قليلة الشهرة ، ووالده كان تاجراً فاشلاً ، وقد أرسلته والدته إلى عمه ؛ ولولا عمه لما كان لجورج كاننج أى قيمة ، وتكفل عمه بتعاليمه وأرسله إلى كلية كنيسة المسيح في أكسفورد ، ودرس اللاهوت ثم القانون وتخرج عام ١٧٩١ ، وبعد ذلك اتجه للسياسة وولى أول مناصبه عام ١٨٠٦ كوزيراً للخارجية بعد إنضمامه إلى السلك الدبلوماسى ، وإقيل في العام الذى بعده بعد مجئ حزب المحافظين ، واتسمر يعمل في السلك الدبلوماسى ، ووكيلاً لوزارة الخارجية إلى أن أصبح وزيراً للخارجية في الفترة (١٨٢٢- ١٨٢٧) . للمزيد انظر Andrew Montgomery Endorf, British Roreign Policy Under Canning, B.A, University of Cincinnati, 2004, p . 12 - 15.

(٥٣) ه . ا . ل . فشر : تاريخ أوربا في العصر الحديث(١٧٨٩- ١٩٥٠م) ، ترجمة أحمد نجيب هاشم- وديع الضبع ، ط٨ ، دار المعارف ، ١٩٥٨ ، ص١٢٨- ١٢٩ ؛ عبدالعظيم رمضان : تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ، ج٢ من تسوية مؤتمر فيينا ١٨١٥ إلى تسوية مؤتمر فرساي ١٩١٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ ، ص٤٩ ؛ محمد السيد سليم : تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ط١ ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص٧٥- ٧٦ ؛ عمر طوسون : صفحة من تاريخ مصر في عهد الباشا" الجيش المصري البري والبحري" ، ط٢ ، مكتبة مدبولي بالقاهرة ، ١٩٩٦ ، ص٧١- ٧٢ ؛ محمد فريد : البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية ، تحرير ودراسة أحمد زكريا الشلق ، ط٢ ، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص١٣٢- ١٣٣ ؛ داوود بركات : البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام ١٨٣٢م ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤ ، ص٦٦- ٦٧ ؛ عصام عبدالفتاح : أيام الباشا "عبقرية الإرادة . . وصناعة التاريخ ، الشريف ماس للنشر والتوزيع ، د .ت ، ص١٠٤ ؛ شارلس مرى : صفحة من تاريخ الباشا مؤسس مصر الحديثة ، ترجمة سليم حسن . وطه السباعى ، مطبعة المعارف بمصر ، ١٩١٩ ، ص٥١ ؛ AndreMontgomery Endorf, Op.Cit,p٧ .

(٥٤) محمد عبدالفتاح أبو الفضل : مرجع سابق ، ص١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، حسين فوزي النجار : مرجع سابق ، ص١٥٨ ؛ رونالدو أوليفر – أنتوني أتمور : مرجع سابق ، ص ٦١ ؛ جون جوليوس نوريش : مرجع سابق ، ص ٥٨٤ ، ٥٨٧ ؛ محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد الباشا والمسألة الشرقية (١٨١١- ١٨٤٩م) ، ج١ ، مرجع سابق ، ص١٦٣ ، ٢٣٠-٢٣٣ ؛ هنري دودويل : مرجع سابق ، ص٩٢ ؛ كارولين جوتييه كورخان : مرجع سابق ، ص٢٢٦ ؛ مجموعة باحثين إيطاليين : مرجع سابق ، ص٩١ ؛ محمد مورو : تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى ثورة يوليو (١٧٩٨- ١٩٥٢م) صفحات من كفاح الشعب المسلم في مصر ، د . ت ، ص١٧٠ ؛ شلدون واتس : الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الإمبريالية ، ترجمة وتقديم أحمد محمود عبدالجواد ، مراجعة عماد صبحي ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠ ، ص١٢٨ ؛ أ . ج . جرانت- هارولد تمبرلى :

أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرون(١٧٨٩- ١٩٥٠م) ، ترجمة بهاء فهمي ، مراجعة أحمد عزت عبدالكريم ، ط٦ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، مؤسسة سجل العرب ، ٢٠٠١ ، ص٤٠٥ ؛ ماسيمو كامبانيني : تاريخ مصر الحديث من النهضة في القرن التاسع عشر إلى مبارك ، ترجمة عماد البغدادي ، مراجعة علمية عماد أبوغازي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٦ ، ص٢٩ .

(٥٥) محمد فهمي لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادي فى العصور الحديثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٧٥ .

(56) -Andrew Montgomery Endorf, Op.Cit,p. ٧١ .

(٥٧) نينل الكسندروفنا دولينا : الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر ، ترجمة أنور محمد إبراهيم ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩ ، ص٢٦ .

(٥٨) زينب عصمت راشد : كريت تحت الحكم المصرى (١٨٣٠- ١٨٤٠) ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٧٠- ٧٥ .

(٥٩) مسعود ضاهر : الدولة والمجتمع في المشرق العربى (١٨٤٠- ١٩٩٠) ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص١٣- ١٤ ؛ أحمد بك شهاب : بريطانيا في مصر أو مصر قبل الاحتلال وبعده ، د .ن ، د .ت ، ص٥١- ٥٢ .

(٦٠) عبدالعزيز سليمان نوار ، عبدالمجيد نعنعي : التاريخ المعاصر " أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية" ، دار النهضة العربية بيروت ، ٢٠١٤ ، ص١٩٨- ١٩٩ ؛ يونان لبيب رزق ، رءوف عباس ، عبدالعظيم رمضان : أوروبا في عصر الرأسمالية ، دار الثقافة العربية ، ١٩٨٢ ، ص٢٦٠ - ٢٦١ .

(٦١) اللورد بالمرستون : ولد هنري "جون تمبل بالمرستون"(Henry John Temple Palmerston) في منزل العائلة الواقع في "برودلاندز"(Broadlands) عام ١٧٨٤ ، وتمبل هو اسم العائلة التي انتمى إليها بالمرستون ، وهي من العائلات الارستقراطية العريقة في بريطانيا ، والتي تعود إلى أصول ايرلندية . وقدمت هذه العائلة عدداً كبيراً من السياسيين الذين ساهموا في صنع أحداث تاريخ بريطانيا ، وتم تعميده في كنيسة مجلس العموم في "سانت مارغريت"(St.Margret) التابعة لمنطقة "ويستمنستر" (Westminster) ، وتزوج والد بالمرستون الذي كان رجلاً مثقف وذا مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة في المجتمع البريطانى مرتين ، ولأن الزوجة الأولى توفيت ، والثانية كانت من أسرة عريقة أيضاً التى هى والدة بالمرستون ، وكان لدى أسرته مقاطعات كبيرة ، وكانت أسرته على صلة طيبة بالتاج البريطانى ، والتحق بالمرستون بمدرسة هارو وظل فيها من (١٧٩٥- ١٨٠٠) وهي من المدارس الراقية في بريطانيا التي يقصدها أبناء النبلاء ، وكان مع بالمرستون في هارو عدد من أبناء السياسيين البريطانيين منهم "روبرت بيل"() (١٧٨٨- ١٨٥٠) ، وكذلك "جون سبنسر آل ثورب" (John Spence Althorp) (١٧٨٢- ١٨٤٥) بالإضافة إلى "جورج هاملتون أبردين"(George Hamilton Aberdeen)(١٧٨٤- ١٨٦٠) ، ثم التحق بعد ذلك بجامعة (أدنبرة) باسكتلندا وتعلم بعض

اللغات كالفرنسية والألمانية والإيطالية بجانب الإنجليزية ، وطاف ببعض بلدان أوربا وزار الكثير من معالمها ، وفي عام ١٨٠٥ عند هجوم نابليون على بريطانيا شارك بالمرستون طلبة الجامعة في المظاهرات والانتفاضات ، ووقع الاختيار عليه ليمثل الجامعة في مجلس العموم ، ومن هنا بدأ ولعه بالسياسة والمشاركة السياسية ، ومن مجلس العموم إلى وزارة البحرية ، ثم وزيراً للخارجية ، وبالمرستون في تلك الدراسة التى نحن بصددها الأن له دور كبير ومؤثر في سير العملية السياسية البريطانية تجاه مصر والصين ، وله مواقف كثيرة وأراء تجاه الباشا ونظامه ، وأيضاً تجاه حربى الأفيون الأولى والثانية ، بجانب تدعيمه للقضية الصهيونية وتمكين اليهود في فلسطين . للمزيد انظر اياد تركان ابراهيم الدليمي : اللورد هنري جون تمبل بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية البريطانية(١٨٦٥- ١٨٣٠) ، جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ- كلية التربية- الجامعة المستنصرية ، العراق ، ٢٠١٢ ، ص١- ٤٠ ؛ David Stuart Brown, Palmerston and the - Politics of Foreign Policy, 1846-1855, Ph.D of Philosophy Department of History, University of Sout hampton, August 1998, p4-25.

(٦٢) ه . ا . ل . فشر : مرجع سابق ، ص١٢٩ ؛ ايادتركانابراهيمالدليم : مرجع سابق ، ص٣٧ ؛ القومندان جورج داون : مشروع حملة الباشا على الجزائر (١٨٢٩- ١٨٣٠م) وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ، ترجمة عثمان مصطفى عثمان ، مراجعة عبدالرءوف أحمد عمرو ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠ ، ص٢٩ .

(٦٣) حرب الشام الأولى ، يمكن اعتبارها بداية الحركة التي أخرجت الباشا عن حكم الدولة العثمانية عام ١٨٣١م أثر رفض السلطان إعطاءه سوريا مقابل الأموال الكثيرة التي فقدها والأسطول الضخم الذي تحطم في معركة نافارين ، وقرر أن يحصل على حقوقه بنفسه ، فبدأت الأزمات تتصاعد بين الطرفين ، ولقد شعر الباشا بضعف السلطان بعد حربه مع روسيا والثورة في اليونان ، فبدأت حملته على بلاد الشام في ٢٩ تشرين الأول عام ١٨٣١ م وقد كان الجيش العثماني في حالة ضعف تام عكس الجيش المصري الذي كان منتظماً ومسلحاً ، ولم يتحرك الجانب العثماني إلا بعد ستة أشهر من بدء الحركات المصرية في منطقة بلاد الشام ، الذي سيطر على غزة ويافا ، وحيفا بدون مقاومة تذكر ، وفي تشرين الثاني من العام نفسه حاصر عكا ودخلها بعد ستة أشهر ، ومن ثم استولت القوات المصرية على حمص وحماة وحلب واتجه نحو مضيق بيلان الجبلي ثم تمكنت القوات المصرية من دخول الأناضول واستولت على أظنه بعد معركة قونية في ٢١ تشرين الثاني عام ١٨٣٢ ، أحست الدولة العثمانية بالخطر وبدأت تطلب المعونة من الدول الكبرى ، ولكن فرنسا كانت تؤيد وبشكل كامل الباشا ، وبريطانيا كانت في موقف حرج لا تستطيع أن تقدم المساعدة ، إلا أن روسيا استغلت الوضع وخاصة أن السلطان طلب منها المساعدة . وفي ٢ شباط ١٨٣٣ احتل المصريون كوتاهية فطلب محمود الثاني رسمياً من روسيا التدخل والمساعدة وفي ٢٠ شباط ١٨٣٣ دخل الأسطول الروسي مياه البسفور ، وانزل الفيلق الروسي الذي قوامه ٣٠ ألف محارب فأفزع التدخل الروسي كل من بريطانيا وفرنسا

فحاولتا مصالحة الباشا مع السلطان لكي لا يقطعا الطريق أمام روسيا وتدخلها السافر في المنطقة على حساب مصالح كلتا الدولتين وفعلاً استطاعتا أن تجعلا الباشا والسلطان يوقعان صلح كوتاهية في ٤أيار ١٨٣٣ ، والذي بموجبه أعطي الباشا حكم مصر والجزيرة والسودان وكريت وعين حكماً على بلاد الشام . للمزيد انظر حسن عبد علي : روسيا وحرب القرم ١٨٥٣ ذ ١٨٥٦ ، كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة بابل ، مج الرابع ، ع ٤ ، ٢٠١٥ ، ص ١٦٣٥-١٦٣٧ ؛ كارولين جوتييه كورخان : مرجع سابق ، ص٢٦٨ .

(٦٤) محمد محمود السروجي : مصر والمسألة المصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مكتبة الطالب بالاسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص١٠ ؛ أ . ج . جرانت- هارولد تمبرلى : أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرون(١٧٨٩- ١٩٥٠م) ، ترجمة بهاء فهمي ، مراجعة أحمد عزت عبدالكريم ، ط٦ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، مؤسسة سجل العرب ، ٢٠٠١ ، ص٤٠٩ .

(٦٥) الثورة البلجيكية : ألحقت بلجيكا بمملكة هولندا بموجب قرارات مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ ، كي تتمكن المملكة من الوقوف في وجه أطماع فرنسا في أوربا ، وأظهرت عملية دمج الشعبين الهولندي والبلجيكي الكثير من التناقضات مما أدى الى حدوث الكثير من المشاكلات بينهم ، فقد سيطر الهولنديون على مقاليد الامور في الوقت الذي كان البلجيك يعتقدون انهم اكثر قدرة على تصريف شؤونهم ، وعمل الهولنديون على التحيز لأبناء جلدتهم على حساب البلجيك ، وعدوا اللغة الهولندية هي اللغة الرسمية الوحيدة في الدولة ، ومنحت الوظائف المهمة في الدولة الاتحادية سواء كانت مدنية أو عسكرية للهولنديين ، وعلى أثر ذلك تأزمت الأوضاع بين الطرفين واندلعت المواجهات في بروكسل عام ١٨٣٠ وأدت إلى مقتل العديد من الأشخاص ، ووجد ملك هولندا "ويليام الأول"(William I) أن يناشد الدول الأوربية الخمس الكبرى للتدخل على إعتبار أن تسوية فينا تتعرض للخطر ، ولقد كانت الدول الشرقية الثلاث (روسيا وبروسيا والنمسا) غير قادرة على التدخل في الأمر بسبب الاضطرابات التي وقعت في بولندا فجاء الاهتمام الأكبر بقضية بلجيكا من جانب وزير الخارجية البريطاني بالمرستون ، الذى نظر إلى أن تلك الثورة وما تلاها من أحداث تشكل تهديدا لأمن بريطانيا وسلامة تجارتها ، كما أنها ستنسف قرارات مؤتمر فينا . للمزيد انظر ايادتركانابراهيمالدليم : مرجع سابق ، ص٤٠- ٤١ ، ٦٧ .

(66)-P.E. Caquet, The Orient, the Liberal Movement, and the Eastern Crisis of 1839-41,University of Cambridge, United Kingdom,The registered company is Springer International Publishing AG Switzerland, 2016, p14 ؛ايياد تركان ابراهيم الدليم : مرجع سابق ، ص٥٢- ٥٥ ، ٦٠- ٦٥ .

(٦٧) محمد شفيق غربال : الباشا الكبير ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤ ، ص٩٥ .

(٦٨) جون جوليوس نوريش : مرجع سابق ، ص٥٩٥- ٥٩٦ ؛ نينل الكسندروفنا دولينا : الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر ، ترجمة أنور محمد إبراهيم ،

المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩ ، ص ٢٥ ؛ مجموعة باحثين إيطاليين : مرجع سابق ، ص٩٣ ؛ آمال السبكي : أوربا في القرن التاسع عشر "فرنسا في مئة عام" ، عالم المعرفة ، جدة ، السعودية ط١ ، ١٩٨٥ ، ص٢٠٦ ؛ أحمد بك شهاب : مرجع سابق ، ص٦٧ .

(٦٩) محمد صبرى الدالى : في تاريخ الصدام والحوار بين الشرق والغرب(القوى الأوربية الكبرى والصراع الروسي العثمانى على البحر الأسود والمضايق) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٤ ، ص١٣٧- ١٥٧ .

(٧٠)-P.E. Caquet, Op Cit, p27 نينل الكسندروفنا دولينا : مرجع سابق ، ص ٣٠ ، ٦١ ؛ محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد الباشا والمسألة الشرقية (١٨١١- ١٨٤٩م) ، ج١ ، مرجع سابق ، ص٣٨٢ ؛ محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص٢٣ ؛ آمال السبكي : مرجع سابق ، ص٢٠٦ ؛ أ . ب . كلوت بك : مرجع سابق ، ص٦٩ ؛ جي فارجيت : الباشا مؤسس مصر الحديثة ، محمد رفعت عواد ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٣ ، ص١٧٠- ١٧٧ ؛ عفاف لطفي السيد مارسو : مرجع سابق ، ص٣٥٢ ؛ محمد صبري السربوني : نشأة الروح القومية المصرية (١٨٦٣- ١٨٨٢م) ، مرجع سابق ، ص٥٥ .

(٧١) المعية السنية : دفتر قيد الأوامر العالية ، الكود الأرشيفى١-٢٨١-٠٠٠٠٠٢/٣- ٠٠٠٣ ، ج٢ دفتر الأوامر العالية ، أمر عالى من وكيل المرور إلى مجلس الأحكام ، رقم السجل ١٨٨٤ ، الفترة التاريخية ١٢١٢- ١٣٠٦هـ/ ١٧٩٨- ١٨٨٨م ، ص١٤ ؛ نينل الكسندروفنا دولينا : مرجع سابق ، ص٣١- ٣٣ .

(٧٢) محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ١٥١ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من ١٢٢٢- ١٢٣٩هـ/ ١٨٠٧- ١٨٢٣م ، محفظة ١ ، محفوظات ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ٥ رمضان ١٢٣٧هـ- مايو ١٨٢٢م ، ص٤٠ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ١٥١ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من ١٢٢٢- ١٢٣٩هـ/ ١٨٠٧- ١٨٢٣م ، محفظة ١ ، محفوظات ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ٩ ربيع آخر ١٢٣٨هـ- ديسمبر ١٨٢٢م ، ص ٤٨ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ١٥١ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من ١٢٢٢- ١٢٣٩هـ/ ١٨٠٧- ١٨٢٣م ، محفظة ١ ، محفوظات ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ٢١ رجب ١٢٣٩هـ- ٢ مارس ١٨٢٤م ، ص ١٣٥ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ١٨٦ ، أبحاث في التجارة ، دار الكتب والوثائق القومية ، الفترة التاريخية من ١٢٤٤- ١٢٥٠هـ/ ١٨٢٨- ١٨٣٤م ، محفظة رقم ٤ ، ملخص الوثيقة التركية نمرة ٧٠ ، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ١٣ رجب ١٢٤٤هـ/ ٧ يناير ١٨٢٩م ، ص ٣٤ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١هـ- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، ترجمة الأمر التركى رقم ١٢ ، محفظة رقم د ، ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ٢٢ شعبان ١٢٥١ه- نوفمبر ١٨٣٥م ، ص٥٨- ٥٩ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة

رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ١٨٦ ، أبحاث في التجارة ، دار الكتب والوثائق القومية ، الفترة التاريخية من ١٢٤٤- ١٢٥٠هـ/ ١٨٢٨- ١٨٣٤م ، محفظة رقم ٤ ، ملخص الوثيقة التركية نمرة ٢٢٦ ، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ٤ جماد أول ١٢٥٠هـ/ ٥ سبتمبر ١٨٣٤م ، ص ١٥٣ ؛ وانظر محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١ه- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، محفظة نمرة ٥ ، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ٧ شوال ١٢٥١هـ- يناير ١٨٣٥م ، ص٧١ .

(٧٣) محمد صبرى الدالي : في تاريخ الصدام والحوار بين الشرق والغرب (القوى الأوربية الكبرى والصراع الروسي العثمانى على البحر الأسود والمضايق) ، مرجع سابق ، ص١١٧- ١١٨ ؛ هنري دودويل : مرجع سابق ، ص١٨٣- ١٨٥ .

(٧٤) عامر سلطان قادر : دور الدعاية البريطانية في الحرية والديمقراطية لدعم هجرة العلماء والمفكرين إلى مصر (١٨٨٢- ١٩١٤) ، كلية التربية للبنات ، جامعة كركوك العراق ، د . ت . ص١٢٣ ؛ هنري لورنس : مسألة فلسطين اختراع الأرض المقدسة "أوربا تصوغ العالم وشرق آخذ بالتحول (١٧٩٩- ١٩١٤م) ، ترجمة بشير السباعي ، المجلد الأول ، ط٢ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠٠٩ ، ص٥٨- ٥٩ .

(٧٥) خالد فهمي : كل رجال الباشا الباشا وجيشه وبناء مصر الحديثة ، ترجمة شريف يونس ، دار الشروق ، ٢٠٠٠ ، ص٣٧٧ ، ص٣٨٣- ٣٨٤ ، ٣٩٦- ٣٩٧ .

(٧٦) يسرا محمد سلامة : القمح والأفيون والقطن العلاقات التجارية بين مصر وبريطانيا في عهد الباشا باشا ، ط١ ، مركز التاريخ العربى للنشر ، ٢٠١٩ ، ص١٨ .

(77) -Matthew B. Parnell, Youth Power Egypt: The Development of Youth as a Sociopolitical Concept and Force in Egypt, 1805-1923, University of Arkansas, August 2016, p 63.

(٧٨) محمد مورو : تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى ثورة يوليو (١٧٩٨- ١٩٥٢م) صفحات من كفاح الشعب المسلم في مصر ، د . ت ، ص١٧٥ .

(٧٩) القومندان جورج داون : مشروع حملة الباشا على الجزائر (١٨٢٩- ١٨٣٠م) وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ، مرجع سابق ، ص١٤- ١٥ ، ٢٨ ، ١٤٨- ١٥٣ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١ه- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، محفظة نمرة ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ غرة رجب ١٢٥٢هـ/ أكتوبر ١٨٣٧م ، ص١٣٨ ؛ نينل الكسندروفنا دولينا : الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر ، ترجمة أنور محمد إبراهيم ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩ ، ص٦٥ ؛ عبدالعزيز سليمان نوار ، عبدالمجيد نعنعي : مرجع سابق ، ص١٩٨- ١٩٩ .

(٨٠) هنري دودويل : مرجع سابق ، ص١٣٢ .

(٨١)- نيللى حنا : ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية (ق١٦ - ق١٨م) ، ترجمة رءوف عباس ،

مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٤ ، ص٨٣ ؛ هنري دودويل : مرجع سابق ، ص٣ ؛ محمد أنيس : بريطانيا وطريق السويس في القرن الثامن عشر ، تصدير علي بركات ، ترجمة وتقديم عبدالوهاب بكر ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص٤٥ .

(٨٢)- نبيل عبدالحي رضوان : الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس (١٨٦٩-١٩٠٨م) ، رسالة ماجستير- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الملك عبدالعزيز ، ١٩٨١ ، ص٤٢ ، حسين فوزي النجار : مرجع سابق ، ص٦٩ .

(٨٣)- عبد الإله أحمد مصطفى : مرجع سابق ، ص٣٢ .

(٨٤)- خالد فهمي : مرجع سابق ، ص٣٨٧ .

(٨٥)Matthew B. Parnell, Op.Cit,p 60- 61 - ؛ محمد إبراهيم الفيومى : الاستشراق رسالة استعمار تطور الصراع الغربى مع الإسلام ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٣ ، ص٦٤- ٦٥ ؛ اياد تركان ابراهيم الدليمي : مرجع سابق ، ص٧٣ .

(٨٦)- بعد هزيمة محمد علي في معركة نفارين تم تحويل الدفة ناحية فرنسا ، ولا سيما أن الأخيرة كانت مقبلة على مشروع استعمارى وهو احتلال الجزائر بمساعدة الباشا ، وقد أوضح ذلك قنصل بريطانيا في الإسكندرية "جون باكر" الذى خلف سولت في منصب القنصل العام ، واللورد "إبردين"(Aberd) ، حيث شرحا إلى حكومتهما خطورة الموقف وتواصل الباشا مع قنصل فرنسا "دروفيتي"(Droviti) ، وأضاف أيضاً السفير البريطانى في باريس اللورد "ستيوارت لورد روز ثاي"(Stewart Lord Rose)) عدة تقارير عن اجتماعات القنصل سالف الذكر في باريس وخططه مع أمير فرنسا والباشا ،Tha كما أكد سفير بريطانيا في فيينا اللورد "كاولى"(Cowley) على تفاصيل بعض الرسائل المتداولة بين أمير فرنسا "بولينياك"(Polynyak) والباب العالى حول استخدام قوات الباشا ، وذلك كان بين عامى ١٨٢٩-١٨٣٠م ، وبناء عليه تحركت الخارجية البريطانية لوقف هذا المشروع ، وأرسلت حكومة بريطانيا بعض الأوامر في يناير عام ١٨٣٠ على لسان وزير خارجيتها اللور "أبردين" إلى قنصلها في الإسكندرية السير "روبرت جوردن"(Robert Gordon) قائلاً "لست في حاجة أن أوضح لك الاهتمام والقلق اللذين تنظر بهما حكومة جلالته إلى حملة من هذا النوع ، سواء من حيث نتيجتها النهائية أو من حيث أسلوب تنفيذها . . .سواء صرح السلطان بالحملة أو لم يصرح فإن بريطانيا لا تستطيع ، أيا كانت الظروف ، ألا تلقي بالاً لتغيير يحدث في وضع ملكية نقاط مهمة على الساحل الإفريقي ، تغيير يتم بوسائل فرنسية ، وبنفوذ فرنسي . . . .إن مشروع كهذا ، حتى لو نفذه الباشا وحده . . . لا يمكن ألا تلقي إليه حكومة جلالته بالاً . وذاك أن الطابع الخاص للخطة المطروحة ، والتى ينسق أهدافها الخاصة من أجل إحداث تغيير شامل في وضع ملكية النقاط الساحلية المهمة على البحر الأبيض المتوسط ، من شأنه أن يثير أقوى اعتراضات جلالة الملك . . .ولا تعتقد الحكومة البريطانية أن باشا مصر قد فكر ملياً في كل التبعات المهمة التى يمكن أن تترتب على ما قرر بغير روية على ما يبدو أن يقدم عليه" ، ونجحت في الأخير في إفشال هذا المشروع الفرنسى المصرى .للمزيد

انظر القومندان جورج داون : مشروع حملة الباشا على الجزائر (١٨٢٩- ١٨٣٠م) وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ، ترجمة عثمان مصطفى عثمان ، مراجعة عبدالرءوف أحمد عمرو ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠ ، ص٧١- ٨٥ ، ١١١ .

(٨٧) محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١هـ- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، محفظة نمرة ٥ ، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ١١ شعبان ١٢٥١هـ- نوفمبر ١٨٣٥م ، ص٥٤ ؛ محمد صبري السوربوني : الإمبراطورية المصرية في عهد الباشا والمسألة الشرقية (١٨١١- ١٨٤٩م) ، ج١ ، مرجع سابق ، ص٢٥٨- ٢٦٢ ، ٢٨٤ ؛ محمد السيد سليم : تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ط١ ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص٩١- ٩٢ .

(٨٨) محمد صبري الدالي : مقاربات جديدة في تاريخ مصر الحديث الدين والثقافة والمجتمع والاقتصاد والسياسة (جدل السياسة والاقتصاد في أزمة الباشا في الشام دراسة في موقف بريطانيا ١٨٣١- ١٨٣٨) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٩ ، ص١٦٨- ١٨٢ .

(٨٩) مصطفى رشيد : هو الوزير الدبلوماسي والسياسي العثماني الشهير ، المعروف بحبه لوطنه وحسن خدماته لدولته ، وُلد بالآستانة وتهذب على أيدي والديه إلى سن الشباب ، ونال فوق ذلك رتبة رئاسة التعليم . ولما ارتقى إلى درجة باش خليفة (باشكاتب) أرسلته الدولة العثمانية إلى المورة برفقة الهمايوني تحت قيادة خسرو باشا ، فابتدأ من ذلك الحين يصرف ذهنه إلى استطلاع أسباب تلك الحادثة ، وما يضمن رجوع النفوذ العثماني . وبعد رجوعه من المورة أُرسل إلى القطر المصري مرتين برفقة برتو باشا ، فأظهر من الدراية في حل المشاكل ما اشتهر بين الخاص والعام . وكان له دور في إبرام المعاهدة المسماة (تسوية لندن) ومن مقتضاها التخلي للباشا عن ولايتي مصر وعكا طول حياته ، ولكن الباشا لم يوافق على ذلك ، فاضطرَّت إنجلترا إذ ذاك أن ترسل سفنها الحربية إلى تلك الأمصار ، وكانت النتيجة احتراق السفن الحربية المصرية أمام بيروت ، وإخراج عساكرها من البلاد السورية وإعادة البلاد التي افتتحها إلى الدولة العليَّة ، وحصر ولاية الباشا بالقطر المصري مدة حياته ، ثم يتوارثها أكبر أولاده بموجب الشروط المذكورة بالفرمانات الهمايوني . للمزيد انظر جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، ج١ ، مؤسسة هنداوى ، ٢٠١١ ، ص ٢٤٧- ٢٥٠ .

(٩٠) محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١هـ- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٩ ، محفظة ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٥١ه- أكتوبر ١٨٣٥م ، ص٤٦ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١ه- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، محفظة نمرة ٥ ، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ٢٥ رجب ١٢٥١هـ- أكتوبر ١٨٣٥م ، ص٤ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١هـ- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، محفظة نمرة ٥ ، أوامر ديوان التجارة

والمبيعات ، بتاريخ ١١ شعبان ١٢٥١ه- نوفمبر ١٨٣٥م ، ص٥٤ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١هـ- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، محفظة نمرة ٥ ، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ ٧ شوال ١٢٥١هـ- يناير ١٨٣٥م ، ص٧١ ؛ نينل الكسندروفنا دولينا : مرجع سابق ، ص٨٢- ٨٤ .

(٩١) نينل الكسندروفنا دولينا : مرجع سابق ، ص ٧٦- ٨٠ .

(٩٢) محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص٢٣ ؛ كارولين جوتييه كورخان : مرجع سابق ، ص٣٥ ؛ عمر عبدالعزيز عمر : مرجع سابق ، ص٢٣٨ ؛ خالد فهمي : مرجع سابق ، ص٣٧٣- ٣٧٩ ؛ مسعود ضاهر : مرجع سابق ، ص٢١ .

(٩٣) مسعود ضاهر : الدولة والمجتمع في المشرق العربى (١٨٤٠- ١٩٩٠) ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص١٨ .

(٩٤) محمد صبري الدالي : مقاربات جديدة في تاريخ مصر الحديث الدين والثقافة والمجتمع والاقتصاد والسياسة ، مرجع سابق ، ص١٦٩- ١٨٩ .

(٩٥) عبدالرازق عيسى : وثائق أساسية من تاريخ الشام في ظل حكم الباشا (١٨٣٢- ١٨٤٠م) ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠١٢ ، ص٣٠-٣١ .

(٩٦) عبدالرازق عيسى : نفسه ، ص٣٠ ؛ مسعود ضاهر : مرجع سابق ، ص٢٠ ، ١٧٣- ١٧٥ .

(٩٧) رسالة من محمد شريف باشا إلى معاون الخديوى بخصوص القنصل الإنجليزى في دمشق : محافظ أبحاث الشام ، محفظة رقم ٧٩ ، وثيقة رقم ١٤٢/ بتاريخ ١٢٤٧هـ/ ١٨٣٢م . للمزيد انظر عبدالرازق عيسى : وثائق أساسية من تاريخ الشام في ظل حكم الباشا (١٨٣٢- ١٨٤٠م) ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠١٢ ، ص١٧٣- ١٧٥ .

(98) Elizabeth Wormeley Latlmer, England In The Nineteenth Century, Copyright By a. C. McClurg and Co, A. D. 1905, p125.

(٩٩) محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص٢٠ .

(١٠٠) اياد تركان ابراهيم الدليمي : مرجع سابق ، ص٨٨ ؛ فؤاد سعيد العابد : مرجع سابق ، ص١٢٦ .

(١٠١) سهيل زكار : تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر" روايات تاريخية معاصرة لحوادث عام ١٨٦٠ ومقدماتها في سوريا ولبنان ، التكوين للدراسات والنشر ، ٢٠٠٦ ، ص١٩٠- ١٩٣ ؛ أحمد بك شهاب : مرجع سابق ، ص٧٢ .

(١٠٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية (١٨٧٦- ١٨٨٢م) ، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ٢٠١١ ، ص١٣ ؛ محمد فؤاد شكري : مصر في مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠١- ١٨١١م) ، ج١ ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٠ ، ص٧٤- ٧٥ ؛ محمد صبري السربوني : نشأة الروح القومية المصرية (١٨٦٣- ١٨٨٢م) ، مرجع سابق ، ص٧٨ .

(١٠٣) حضرة صاحب السعادة والمكرمة والنجابة أخى الأعز المجترم : وصلنى رسالتكم القيمة المؤرخة في

٢٦ رجب ١٢٥٣ه والمشتملة على أن صاحب المنزلة جناب قنصل الإنجليز العام المقيم بالإسكندرية ، قد أبلغ بوغوص بك بأن جناب قنصل الإنجليز المقيم في بر الشام قد تقرر فصله ونقله إلى بريطانيا ، وأن بوغوص بك قد عرض هذا الخبر على السدة العلية ، وقد جاء في رسالتكم حيث أن نبأ فصل القنصل المذكور ونقله إلى بريطانيا يعد من أعظم البشائر عندى ؛ لما وقع بيننا فيما مضى من المعارضات والنزاع . . .أنى وقد اطلعت على رسالتكم فأقول : بما أن العبودية تحتم علينا أن نحترم جناب القنصل المتقدم الذكر أكثر من ذى قبل ، طبقاً للإرادة السنية ، فأسبذل جهدى لئلا يقع منى أدنى تقصير في تقديم الاحترام اللائق بجنابه وفقاً للأمر العالى" ، من عكا محمد شريف باشا إلى الإدارة العلية ، بخصوص قرار عزل كامبل قنصل بريطانيا في دمشق : محافظ أبحاث الشام ، محفظة رقم ٧٩ ، ترجمة الوثيقة رقم ١٩٧/٢٥ ، بتاريخ شعبان ١٢٥٣هـ/ يناير ١٨٣٨م . للمزيد انظر : عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ، ص١٩٣-١٩٥ .

(١٠٤) رسالة من الخواجة إلياس موسى إلياس قنصل الإنجليز باللاذقية إلى مدير إيالة طرابلس "لا يخفى سيادتكم الاتفاق الملوكانى الذى ارتبط حديثاً فيما بين الباب العالى العثمانى وبين سعادة ايلجى دولة الإنجليز ، بأمر سعادة ولية نعمتنا ملكة دولة الإنجليز المظفرة بموجب شروط معلومة ممهورة بالآستانة في ١٦ تشرين الثانى ١٨٣٨ ، وأنه مقتضى السلوك بموجبها من رعايا الدولتين المشار إليهما في أول شهر آذار ١٨٣٩ ، فحواها السامى ترتيبات الجمارك على المتاجر الإنجليزية وإطلاق الفلاحة والزراعة والتعاطى المتجرية ، وبتعطيل جميع الحوادث والبدع بكامل الأيالات العثمانية . . ." . للمزيد انظر محافظ أبحاث الشام : محفظة رقم ٨١ الوثيقة العربية رقم ٧١/٢١٥ نيسان ١٨٣٩م ؛ عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ، ص٢٠٥- ٢٠٨ .

(١٠٥) توفيق خلف ياسين : التنافس البريطاني المصري حول البحرين في القرن التاسع عشر ، مجلة سرى من رأى ، العدد الأول ، ٢٠٠٥ ، ص ٤٠ : ٤٢ ؛ جاسم محمد شطب : النفوذ البريطاني وتجارة الرقيق في الخليج العربي في القرن التاسع عشر ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، العدد ٢ ، ٢٠١٢ ، ص٢ ؛ عبد الإله أحمد مصطفى : مرجع سابق ، ص٣٢ ؛ ل .أ . سيديو : تاريخ العرب العام إمبراطورية العرب ؛ حضارتهم- مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية ، ترجمة عادل زعيتر ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠٢٠ ، ص٤٤٧- ٤٤٨ .

(106) A.E.CROUCHLEY,THE ECONOMIC DEVELOPMENT OF MODERN EGYPT, LECTURER IN ECONOMIC HISTORY AT THE FACULTY OF COMMERCE EGYPTIAN UNIVERSIT,FIRST PUBLISHED 1938, p44, 74.ك

كارولين جوتييه كورخان : مرجع سابق ، ص٢٨٥ ؛ هدى علي بلال : الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه(١٨٣٠- ١٨٤١م) ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية- جامعة الموصل- العراق ، مج١٠ ، العدد ٤ ، ٢٠١١ ، ص٣٥٢ ؛ نينل الكسندروفنا دولينا : مرجع سابق ، ص١٠٣ ؛ عمر عبدالعزيز عمر : مرجع سابق ، ص٢٤٣ ؛ صلاح أحمد هريدي : دراسات في تاريخ مصر

الحديث والمعاصر(١٨٠٥- ١٨٨٢م) ، ج٢ ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٠ ، ص٥٦ ؛ شلدون واتس : الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الإمبريالية ، ترجمة وتقديم أحمد محمود عبدالجواد ، مراجعة عماد صبحي ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠ ، ص١٣٢ ؛ داوود بركات : البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام ١٨٣٢م ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤ ، ص١٧٨ .

(١٠٧)- محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١هـ- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، من الجناب العالى إلى الباشا نجله (إبراهيم باشا) ، محفظة نمرة ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ غرة رجب ١٢٥٢ه- أكتوبر ١٨٣٧م ، ص١٣٨ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١ه- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، محفظة نمره ٥ ، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ غرة ذو القعدة ١٢٥١ه- فبراير ١٨٣٦م ، ص٩٧ ؛ محافظ الأبحاث : محفظة رقم ٤٩ ، رقم المجموعة ٢٨٠ ، الموضوع أبحاث في التجارة ، الفترة التاريخية من (محرم ١٢٥١هـ- شوال ١٢٥٦هـ/ ابريل ١٨٣٥- نوفمبر ١٨٤٠م) ، محفظة نمرة ديوان التجارة والمبيعات ، بتاريخ غرة رجب ١٢٥٢هـ- أكتوبر ١٨٣٧ ، ص١٣٥ .

(108) F.O.424/134,Sir Aberdeen to Sir Stratford Canning, June 20, 1843.

(١٠٩) عبد الإله أحمد مصطفى : مرجع سابق ، ص ٤٥- ٤٦ ؛ نينل الكسندروفنا دولينا : مرجع سابق ، ص ٩٧ .

(١١٠) حمزة ملغوث البديري : موقف مترنيخ من أحداث المسألة الشرقية ١٨٢٣- ١٨٤٠م ، مجلة أبحاث ميثان ،العدد ٣٤ ، ٢٠٢١ ، ص٢٤١ ؛ رونالدو أوليفر - أنتوني أتمور : مرجع سابق ، ص٦٢ ؛ وانظر جون جوليوس نوريش : مرجع سابق ، ص٥٩٦ ؛ نينل الكسندروفنا دولينا : مرجع سابق ، ص١١٤ ؛ آمال إبراهيم محمد : الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٩٥ ؛ آمال السبكي : مرجع سابق ، ص٢١١ ؛ جلال يحيى : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث - الإسكندرية ، ١٩٩٩ ، ص٢٤٨ ؛ محمد صبري السربوني : تاريخ مصر من الباشا إلى العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص٧٦ ؛ ريمون فلاور : مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر ، ترجمة سيد أحمد علي الناصري ، تقديم ومراجعة يونان لبيب رزق ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠ ، ص١٢٣ ؛ محمد رفعت : مرجع سابق ، ص١٢٤ .

(١١١) مجموعة من المؤلفين : محمد علي وعصره ، دار الكتب والوثائق ، القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص١٧٢ .

(١١٢)-محمد صبري السربوني : تاريخ مصر من الباشا إلى العصر الحديث ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٦ ، ص٧٢ .

(١١٣) مجموعة من المؤلفين : محمد علي وعصره ، مرجع سابق ، ص١٧٢ .